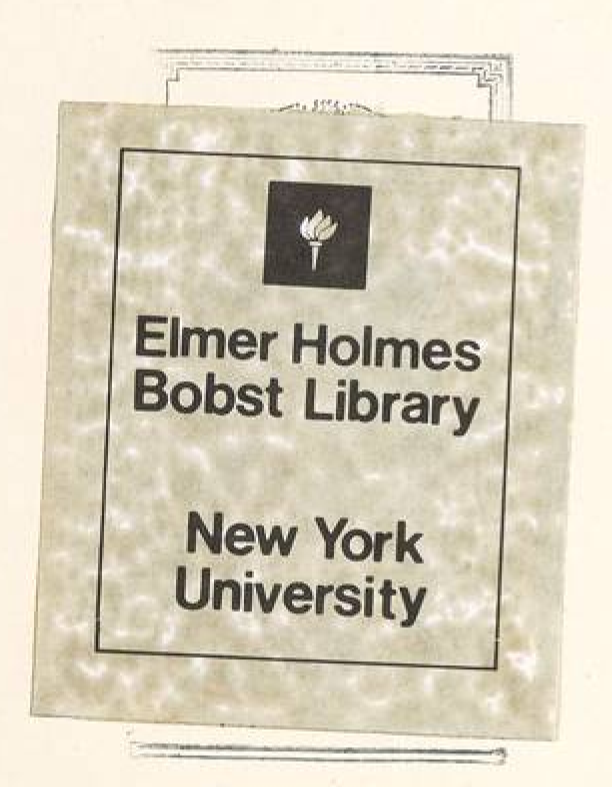



BOBST LIBRARY
3 1142 02809 5126

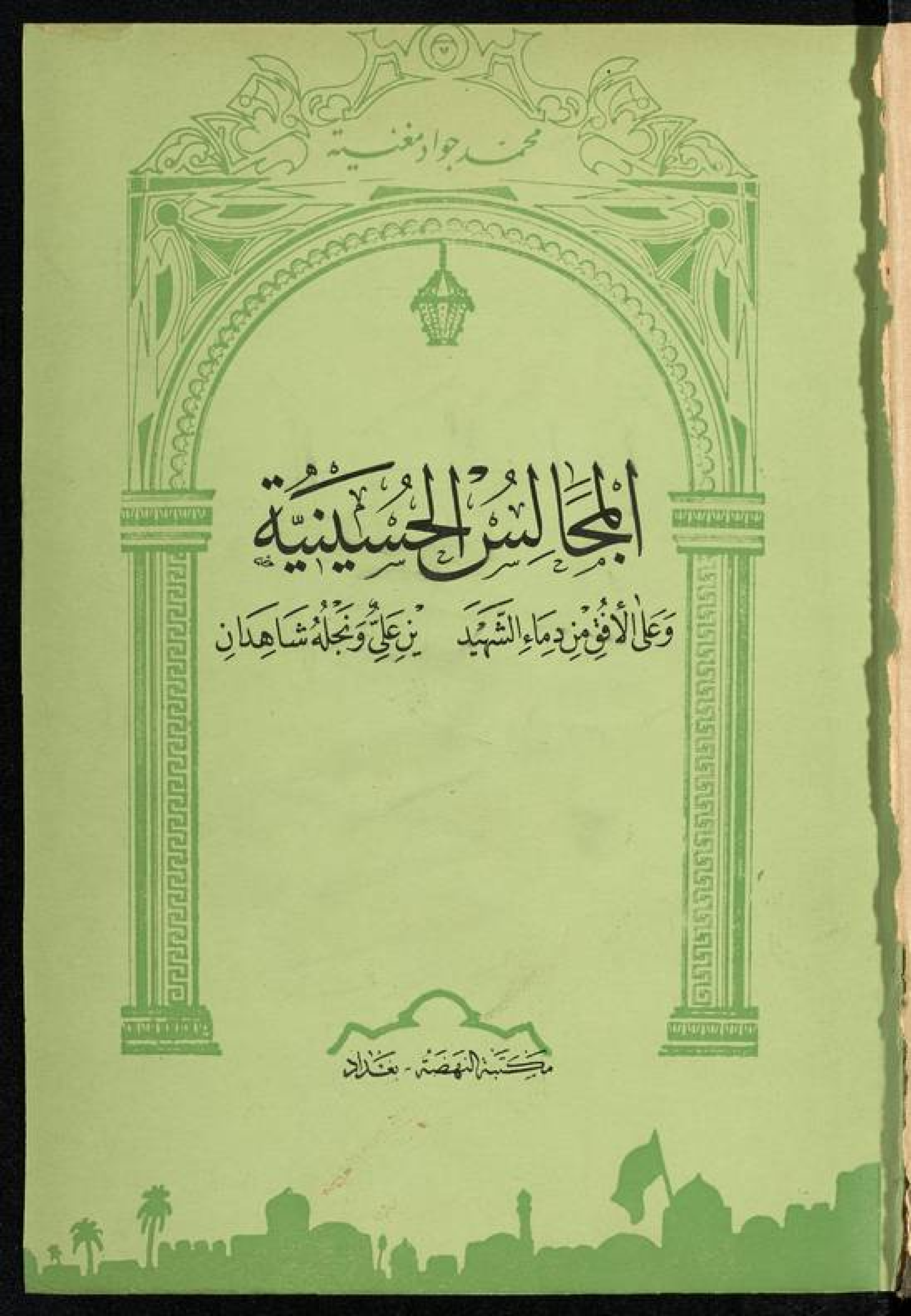

Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

Date Due

DUE DATE
AUG 0 5 2007
OCT 3 1 2007
BOBST LIBRARY
CIRCULATION

Demco 38-297

VAR-7066- Maghniyah,


محمد جواد مغنية
المجالس الحسينية
وعلى الأفق من دماء الشهيد ين علي ونجله شاهدان
مكتبة النهضة - بغداد

Maghnīyah, Muḥammad Jawād

al-Majālis al-Ḥusaynīyah

المجالس الحسينية

وعلى الأفق من دماء الشهيد   ين علي ونجله شاهدان

محمد جواد مغنية

الطبعة الثانية

منقحة ومزيدة

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

Near East
BP
193
.M27
1965
c.1

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٥/٣/٣٠

كلمة الناشر

بعد ان نفذت نسخ الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، وكثر الطلب عليه ، لانه جاء في وقته ، وسد فراغا كبيرا ٠٠ رغبنا الى المؤلف ان يضيف اليه مجالس جديدة ، لنعيد طبعه خدمة للحق واهله ، وتوخيا للفائدة العامـــة ، فلبى مشكورا ماجورا انشاء الله ، وكتب بعض المجالس ، فاضفناها الى ما سبق نشره ٠

وكان العزم ان نعيد طبع كتاب « اهل البيت » للمؤلف ، ثم راينا ان نختار منه الفصول التي تتلائم وتتناسب مع هذه المجـالس الشريفة ونضيفها اليها ليبلغ القاريء غايته من هذا الكتاب دون ان يرجع الى سواه ٠

ورغم ان ذلك يستدعي زيادة التكاليف والنفقات فقد ابقينـــا الثمن الاول على ما كان سائلين المولى الــكريم ان ينتفع به المؤلف والقاريء والناشر والموزع ، وكل عامل على نشره واذاعته : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم » وهـــو حسبنا ونعم الوكيـــل ٠

الناشــر
مكتبة النهضة ببغداد
شارع المتنبي

مقدمـة

ابتديء بسم الله وبحمده ، واصلي على النبي واله ، والسلام على سبطه الشهيد ابي عبدالله الحسين امام الهدى والعروة الوثقى .

وبعد ، فقد اعتاد الباحثون ان ينظروا الى يوم الحسين (ع) على انه امتداد للصراع بين هاشم وامية ، وأنه نتيجة لحوادث متتابعة ، منها محاربة ابي سفيان جد يزيد للرسول (ص) جد الحسين ومنها محاربة معاوية ابي يزيد للامام علي (ع) ابي الحسين ، ومنها وقوف الحسين حائلا بين يزيد وزينب زوجة عبدالله بن سلام ، الى غير ذلك .

وسواء أكان يوم الحسين من ثمرات التخاصم بين الآباء والأجداد ، ام بين الأولاد والاحفاد فان الأمام الصادق (ع) قد اوضح سبب هذا العداء بقوله : « نحن وآل ابي سفيان تعادينا في الله ، قلنا صدق الله ، وقالو : كذب الله » .

وهذه الصفحات تقدم الأرقام على هذه الحقيقة ، وان العداء بينهما انما هو عداء بين الكفر الذي يتمثل في الأمويين ، وبين الايمان الذي يتجسم في اهل البيت (ع) ، وذكرت مع كل رقم جملة تناسبه مما حدث يوم الطف ، عسى ان يتلو الموالون لاهل البيت بعض صفحات الكتاب في المجالس الحسينية ، لأشارك في الثواب والحسنات من أحيا أمرهم وعظَم شعائرهم . قال الأمام زين العابدين (ع) :

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، واشغل قلوبنا بذكرك »

« عن كل ذكر ، والسنتنا بشكرك عن كل شكر ، وجوارحنا »
« بطاعتك عن كل طاعة ، فان قدرت لنا فراغاً من شغل »
« فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة ، ولا تلحقنا فيه »
« سآمة حتى ينصرف عنا كتّاب السيئات بصحيفة خالية »
« من ذكر سيئاتنا ، ويتولى كتّاب الحسنات عنا مسرورين »
« بما كتبوا من حسناتنا .... »

لا شيء اسوأ اثراً ، واكثر ضرراً من الفراغ ، هذا فقير عاطل عن العمل لا يجد وسيلة تدر عليه ثمن الرغيف ، فيجرم ، ويحتال بكل طريقة للحصول على العيش ، وذاك غني كسول يقتل وقته ونفسه بادمان الشراب ، والافراط في انواع الملذات ، وثالث يقبض راتباً ، او يملك عقاراً ، او يجد كفيلا يؤمن له الحياة ، ويتسع وقته لاكثر من الأكل والنوم ، ولا شيء يؤهله لغير الأكل والنوم ، فيملأ فراغه بالقال والقيل ، والاشتغال بهذا طويل ، وذاك قصير ..

واذا عرفنا ما في الفراغ من مفاسد عرفنا السر في قول الامام زين العابدين : « فان قدرت لنا فراغاً من شغل فأجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة ، ولا تلحقنا فيه سآمة ، حتى ينصرف عنا كتاب السيئات بصحيفة خالية من سيئاتنا ، ويتولى كتاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا » . خاف الأمام من الفراغ ، لأنه يؤدي بصاحبه الى المحرمات والموبقات ، فسأل الله ان قدر له شيئاً منه ان يجعله فراغ سلامة لا فراغ تهلكة . فراغ المؤمن الذى يشغل قلبه ولسانه بذكر الله عن عيوب الناس ، وعن كل ذكر ، وجوارحه بطاعة الرحمن عن طاعة الشيطان .

ان المجرم لا يشعر باللذة في ذكر الله ومرضاته ، بل لا شيء أثقل عليه من ذلك ، تماماً كالمريض الذي يجد العسل مر المذاق ، ومن استحوذ عليه الشيطان لا يطمئن قلبه الى ذكر الله وشكره ، ولا تسكن نفسه الا الى الحرام والمنكرات ، ولا يرتاح ضميره الا بعيوب الناس وأكل لحومهم ..

ان الحصول على مرضاة الله سهل يسير ، والسبيل الى طاعته يجدها الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، لانها ليست سلعة تحتاج الى مال ، ولا عملا شاقاً يفتقر الى قوة ، انها طهارة النفس ، وتنزيه اللسان عن الغيبة والكذب ، انها الشغل بذكر الله عن كل ذكر ، وبشكره عن كل شكر ، فمن حمد الله مخلصاً فهو مطيع ، ومن قال حقاً فله الأجر والثواب ، ومن اثنى على الصالحين ، واحب عملهم كان معهم ، واي شيء ايسر من الكلام ، وتحريك اللسان ؟!..

أجل ، لا شيء اسهل عليك من ان ترضي الرقيب الذي عناه الله بقوله : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ترضية بترك الاساءة الى خلقه ، وبكلمة طيبة يسجلها لك كتاب الحسنات ، ويدخرونها ليوم يُنادى فيه الناس : « ماذا اجبتم المرسلين » .

ان تعاليم أهل البيت لا تنحصر بعلم دون علم ، وفضائلهم لا تختص بالكمال في جهة دون جهة ، ومبادئهم ليست لزمان دون زمان انهم كالقرآن الناطق الذي فيه تبيان كل شيء ، فالمجال ، اذن ، يتسع للعارف الذي قدر له شيء من فراغ ان يملأه بنشر فضائلهم ، وبث تعاليمهم ، واحياء ما تركوه للانسانية من تراث ، فهذه المجلدات في

فقههم ومناقبهم واخلاقهم ، وأحاديثهم ومناجاتهم لا يبلغها الاحصاء ، وهي ميسورة لكل طالب ، فبدلا من ان يقتل الوقت بكلام لا طائل تحته يستطيع ان يحدث او يكتب في جهادهم ونصرتهم للحق واهله ، وفي فلسفتهم في الحياة ، وفقههم واخلاقهم ، وان يفكر ويطيل التفكير في ادعيتهم وكلامهم الذي كانوا يناجون به خالق الكائنات . يستطيع ان يقتبس ما شاء ، ومتى شاء من أنوارهم التي لا تبلغ الى نهاية ، ولا تحد بلفظ .

وأي شيء أفضل من الحديث عن العترة الطاهرة ومناقبهم ؟! وأي علم اجدى وانفع من علومهم ومواعظهم ؟! انها تذكر بالله ، وتبعث على طاعته ، والبعد عن معصيته ، انها كالغيث تحي النفوس بعد موتها ، وتجعلها مع الخالدين والأنبياء والصالحين ، وبمقدار ما يبلغ الانسان من علوم أهل البيت يبلغ حده من العظمة والخلود .

ان عظمة الكليني والطوسي والمفيد والحلي والمجلسي والشهيد والأنصاري وغيرهم وغيرهم ، لا مصدر لها الا علوم أهل البيت ، والا لأنهم عرفوا شيئاً من آثارهم ، لقد وجد في كل عصر اقطاب من الشيعة تنحني الرؤوس اجلالا لقدرهم ومقامهم ، ويرتبط تاريخ العلوم بتاريخهم ، ولا سرّ الا مدرسة أهل البيت وهدايتهم وحكمتهم ولو لاها لم يكونوا شيئاً مذكورا .

وبالتالي ، فان تاريخ الامامية في عقيدتهم وفقههم وادبهم هو تاريخ الولاء لاهل البيت ، وهذه كتبهم ومؤلفاتهم تزخر باقوال الرسول ومناقب الأئمة الاطهار من ابنائه ، وان في هذه الصفحات ذكرا

لآل الرسول الأعظم (ص) ، وقد شغلت أمدا من عمري ، ولا أعرفها باكثر من ذلك . والحمد لله الذي هدانا لولايتهم ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .



الشيعة ويوم عاشوراء

لماذا يهتم الشيعة هذا الاهتمام البالغ بذكرى الحسين ، ويعلنون الحداد عليه ، ويقيمون له عشرة أيام متوالية من كل عام ؟! هل الحسين اعظم واكرم على الله من جده محمد وأبيه علي ؟! واذا كان الحسين اماما فأن جده خاتم الانبياء ، واباه سيد الاوصياء ! لماذا لا يحي الشيعة ذكرى النبي والوصي ، كما يفعلون بذكرى الحسين؟!.

الجواب ان الشيعة لا يفضلون احدا على الرسول الأعظم . انه أشرف الخلق دون استثناء ، ويفضلون علياً على الناس باستثناء الرسول فقد ثبت عندهم ان علياً قال مفاخراً : « أنا خاصف النعل » اي مصلح حذاء الرسول . وقال : « كنا اذا حمي الوطيس لذنا برسول الله » . وقال : دخلت على رسول الله ، وكانت له هيبة وجلالة ، فلما قعدت بين يديه افحمت ، فوالله ما استطعت ان اكلمه » .

أجل ان الشيعة الأمامية يعتقدون ان محمدا لا يوازيه عند الله ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وأن علياً خليفته من بعده ، وخير أهله وصحبه ، واقامة عزاء الحسين مظهر لهذه العقيدة ، وعمل مجسم لها ، وتتضح هذه الفكرة اذا عرفنا هاتين الحقيقتين .

١ - تزوج الرسول الأعظم (ص) ، وهو ابن ٢٥ سنة ، وقبض وله ٦٣ ، وبقي بعد خديجة دون نساء سنة واحدة ، ثم تزوج الكثيرات حتى جمع في آن واحد بين تسع ، وامتدت حياته الزوجية ٣٧ عاما ، ورزق من خديجة ذكرين : القاسم وعبدالله ، وهما الطيب والطاهر ، ماتا صغيرين ، ورزق منها ايضا أربع بنات : زينب وام

كلثوم ورقية وفاطمة ، اسلمن وتزوجن وتوفين في حياته ما عدا فاطمة وولدت له مارية القبطية ابراهيم ، واختاره الله ، وله من العمر سنة وعشرة اشهر وثمانية أيام ، فانحصر نسل الرسول بفاطمة وولديها من علي الحسن والحسين ، فهم اهله الذين ضمهم واياه « كساء » واحد وبيت واحد .

وقد كان هؤلاء الاربعة (ع) بعد الرسول (ص) سلوة وعزاء للمسلمين عن فقد نبيهم ، وان عظم الخطب ، لأن البيت الذي كان يأويه ما زال مأهولا بمن يحب ، عامرا بأهله وابنائه ، وماتت فاطمة بعد أبيها بـ ٧٢ يوما ، فبقي بيت النبي مزينا ومضيئاً بعلي والحسن والحسين ، ثم قتل علي فظل الحسنان ، وكان حب المسلمين لهما لا يعادله شيء الا الحب لنبيهم الكريم ، لانهما البقية الباقية من نسله وأهل بيته ، وبعد ان ذهب الحسن الى ربه لم يبق من أهل البيت الا الحسين ، فتمثلوا جميعا في شخصه ، فكان حب المسلمين له حبا لأهل البيت اجمعين ، للنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، تماما كما لو كان خمسة أولاد اعزاء ، ثم فقدت منهم اربعة ، وبقي منهم واحد فانه يأخذ سهم الجميع وتوازي منزلته من قلبك منزلة الخمسة مجتمعين ، وبهذا نجد تفسير قول سيدة الطف زينب ، وهي تندب أخاها الحسين يوم العاشر من المحرم « اليوم مات جدي رسول الله ، اليوم ماتت أمي فاطمة ، اليوم قتل أبي علي ، اليوم سم أخي الحسن » ونجد تفسير ما قاله الأمام الشهيد لجيش يزيد حين صمموا على قتله : « فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم » . واذا أقفل بيت الرسول بقتل الحسين كان ، والحال هذه ،

استشهاده استشهادا لأهل البيت جميعا ، واحياء ذكراه احياء لذكرى الجميــع .

٢ ـ ان وقعة الطف كانت وما زالت ابرز وأظهر مأساة عرفهـا التاريخ على الأطلاق ، فلم تكن حربا ولا قتالا بالمعنى المعروف للحرب والقتال ، وانما كانت مجزرة دامية لآل الرسول كبارا وصغارا ، فلقد احاطت بهم من كل جانب كثرة غاشمة باغية ، ومنعت عنهم الطعـام والشراب أياما ، وحين اشرف الجميع على الهلاك من الجوع والعطش انهالوا عليهم رميا بالسهام ، ورشقا بالحجارة ، وضـــربا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ولما سقطوا صرعى قطعوا الرؤوس ، ووطأوا الجثث بحوافر الخيل مقبلين ومدبرين ، وبقروا بطون الاطفال ، واضرموا النار في الأخبية على النساء ، فجدير بمن والى نبيه الاكرم وأهل بيته ان يحزن لحزنهم ، وان ينسى كل فجيعة ورزية الا ما حل بهم من الرزايا والفجائع معددا مناقبهم ، ومساويء اعدائهم ما دام حيا .

ان الحسين عند شيعته والعارفين باهدافه ومقاصده ليس اسمـا لشخص فحسب ، وانمـــا هو رمز عميق الدلالة ، رمز للبطولـــة والانسانية والامل ، وعنوان للدين والشريعة ، والفداء والتضحية في سبيل الحق والعدالة ، كما ان يزيد رمز للفساد والاستبداد ،والتهتك والرذيلة ، فحيثما كان ويكون الفساد والفوضى وانتهاك الحرمـات واراقة الدماء البريئة والخلاعة والفجور وسلب الحقوق والطغيـان فثم اسم يزيد واعمال يزيد ، وحيثما كان ويكون الثبات والاخـلاص والبسالة والفضيلة والشرف فثم اسم الحسين ومبادىء الحسين ، وهذا ما عناه الشاعر الشيعي من قوله :

كان كل مـــكان كربلاء لدى عيني وكـل زمان يوم عاشورا

مودة أهل البيت

مهما اختلفت الأفراد في أوجه الشبه فانك واجد بين ابناء الامة الواحدة والدين الواحد جامعا مشتركا ، وطابعا يميزها عن غيرها من الامم والطوائف ، واقرب وسيلة لمعرفة هـذا الجامع المشترك هي أقوال الادباء والشعراء ، فانهم يمثلون تقاليد قومهم ، ويعبرون عن عقائد طوائفهم اصدق تعبير •

ولقد تقولت فئة من الناس الاقاويل في عقيدة التشيع ، وافتروا عليهم بما يغضب الله والرسول ، ولكن للشيعة تاريخا طويلا ، وحافلا بالحوادث والثورات ، والعلوم والآداب ، وكلها تنبيء عن حقيقة التشيع ، فيستطيع طالب الحق ان يعرفه بنظرة واحدة الى آثار علمائهم او ادبائهم يقول شاعرهم :

آل بيت النبي انتم غيائي   في حياتي وعدتي لمعادي
ما تزودت للقيامة الا   صفو ودّي لكم وحسن اعتقادي (١)

فعقيدة التشيع ، اذن ترتكز على امرين : حسن الاعتقاد ، وصفو الود لاهل البيت • وحسن الاعتقاد هو الايمان بالله وكتابه ، وبالنبي وسنته ، وقد أوجب القرآن والحديث مودة أهل البيت ، وان انكار مودتهم وولائهم انكار لكتاب الله وسنة الرسول •

ولسائل ان يسأل : هل من دليل يلزم الناس بمودتهم غير شهادة

---

(١) من قصيدة طويلة للمرحوم الشيخ عبدالحسين الاعسم يرثي بها الحسين (ع) ، وهو من علماء الامامية ، وشعرائهم ، توفي ١٢٤٧ هـ •

كتاب الله والحديث ؟ هل من سبيل يقنع من لا يؤمن بالله ولا بالرسول يقنعه بدليل معقول مقبول ان مودة أهل البيت يفرضها الوجدان ومنطق العدل على كل انسان مسلما كان أو غير مسلم ؟

أجل ، ان من يوالي الحق والعدل يوالى اهل البيت ، ومن يعادي الحق يعادي أهل البيت ، لأن أهل البيت هم الحق ، والحق هو اهل البيت . وقد تقول : هذه دعوى تفتقر الى اثبات . والجواب ان اي دليل على ذلك ادل من ان يكون الحسين بنفسه صاعقة الهية تنفجر على الباطم ؟! واي شاهد اصدق من الدماء والارواح تبذل لنصرة الحق ؟! ثم هذا النشيد والهتاف باسم الحسين الا يدل على ان الحسين هو الحق ؟! واذا لم يكن الحسين هو الحق فلماذا كل هذا العداء والبغض من يزيد الباطل ؟

وبقدر ما بلغ الحسين من الحق ، ان صح التعبير بلغ يزيد من الباطل ، وكما عبر الحسين باستشهاده عن مكانته من الحق فقد عبر يزيد بضراوته عن منزلته من الباطل . لقد بلغ الحنق والغيظ بيزيد ان فعل بالحسين وأهله ما فعل ، لا لشيء الا عداوة للحق ، وهذا ما أراد الحسين ان يعلنه للملأ ، ويخبر به الاجيال ، فسأل يزيد قائلا : ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟!أو بمال لكم استهلكته ؟! أو بقصاص جراحة ؟!

أجل ، انهم يطلبونه باكثر من ذلك ، يطلبونه بما طلبه النمرود من ابراهيم الخليل . وبما طلبه فرعون من موسى الكليم ، وبما طلبه ابو سفيان من محمد الحبيب ، وما طلبه معاوية من علي المرتضى ، انهم يطلبون ان لا يوجد شيء على الكرة يقال له دين

وايمان وعدالة وانسانية ، ويأبى الحسين الا الدين ، لانـــه لا شيء اعظم من الدين عند الحسين ، انه اعظم من الارواح ومـــن الانبياء والاوصياء ، فكم من نبي قدم نفسه فداء للدين ؟! وكم من امـــام استشهد من أجل حمايته وصيانته ؟! ان عظمة الدين لا يساويها شيء لانها من عظمة الله الذي ليس كمثله شيء .

وما ادرك هذه الحقيقة احد كما ادركها النبي وأهل بيته، ومن أجل ذلك بذلوا في سبيله ما لم يبذله انسان ، وعبدوا الله عبادة الخبير بمـا له من عظمة وسلطان ، فلقد اجهد النبي نفسه في الصلاة حتى تورمت قدماه ، وحتى عاتبه الله بقوله : « طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » وقد كان من عادة الأمام اذا سجد اصابته غشية لا يحس معها بمن حوله ، قال ابو الدرداء :

« رأيت علياً ، وقد اعتزل في مكان خفي ، وسمعته ، وهو لا يشعر بمكاني ، يناجي ربه ، ويقول : الهي ان طـال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي فما مؤمل غـير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك ، ثم ركع ركعات ، ولما فرغ اتجه الى الله بالدعاء والبكاء والبث والشكوى ، فكان مما ناجى به : الهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من اخذك ، فتعظم علي بليتي . آه ان أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها ، فتقـول خذوه ، فياله من مأخوذ ، لا تنجيـه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، ولا يرحمه الملأ اذا اذن فيه بالنداء ! آه من نار تنضج الاكباد والكلى ! آه من نار نزاعــة للشوى ! آه من غمرة مـــن ملهبات لظى ! ثم انعم بالبكاء ، ثم سكت لا يسمع له حس ولا حركة .

قال ابو الدرداء : فاتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة ، فحركته فلم يتحرك ، فقلت : انا لله وانا اليه راجعون مات والله علي بن طالب ، فأتيت منزله انعاه لفاطمة ، فقالت فاطمة لابي الدرداء : ما كان من شأنه ؟ فلما اخبرها قالت : هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله » .

وكان الأمام زين العابدين في الصلاة فسقط ولده في البئر فلم ينثن عن صلاته ، وحين فرغ منها مد يده ، وأخرجه ، وقال : كنت بين يدي جبار ، لو ملت بوجهي عنه لمال عني بوجهه . واذا كان أهل البيت يهتمون بالصلاة هذا الاهتمام حتى في الحرب وساعة العسرة ، فكيف يدعي التشيع لهم من يتركها ويتهاون بها في السلم وساعات الفراغ ، ويفضل عليها اللهو والمجون .

ومرة ثانية نكرر القول بان التشيع يرتكز على الاعتقاد بالله والرسول واليوم الآخر ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وعلى صفو الود لاهل البيت الذين قاتلوا وقتلوا من أجل الصلاة وعبادة الواحد الاحد . انتحى الأمام ناحية يصلي لله في صفين ، والحرب قائمة على أشدها ، وحين افتقده أصحابه اضطربوا ، وكسروا جفون اسيافهم ، وآلوا أن لا يغمدوها حتى يشاهدوا الأمام ، ولما وجده الاشتر قائما للصلاة انتظره حتى فرغ منها ، وقال له : أفي مثل هذه الساعة ؟! فأجابه : نقاتل لأجلها ونتركها ؟!..

وقام الحسين الى الصلاة في قلب المعركة ، وأصحابه يتساقطون قتلى بين يديه ، فصلى بمن بقي منهم ، وسعيد بن عبدالله الحنفي قائم

بين يديه يستهدف النبال والرماح حتى سقط الى الارض ، وهـــو يقول : اللهم العنهم لعن عاد وثمود ، اللهم بلغ نبيك عني السلام ، وابلغه ما لقيت من ألم الجراح ، فأني أردت ثوابك في نصرة نبيك ، ثم قضى نحبه ، فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى مـــا به من ضرب السيوف وطعن الرماح •

هل أقدم الحسين على التهلكة ؟!

قد يتساءل : كيف تحدى ابراهيم الخليل (ع) شعور قومه ، وأهانهم في آلهتهم واعظم مقدساتهم ، ولم يعبأ بالنمرود صاحب الحول والطول ؟! هذا ، وهو اعزل من السلاح والمال لا ناصر له ، حتى ابويه لم يجرءا على مناصرته والذب عنه .

حطم الخليل آلهة قومه ، وداسها بقدميه ، وقال للالوف المؤلفة « أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون » ولم يخش سطوتهم ونارهم التي أوقدوها لحرقة حيا .

وموسى الكليم (ع) الشريد الطريد الذي أكل بقلة الارض حتى بانت خضرتها من شفيف بطنه لهزاله ، وحتى سأل ربه قطعة خبز ، وتضرع اليه بقوله : « رب لما انزلت الي من خير فقير » هذا الفقير الى لقمة الخبز يصرخ في وجه فرعون المتأله ، صاحب النيل ، والملك العريض الطويل ، ويقول له : انت الضال المضل !..

ومحمد اليتيم (ص) الذي لا يملك شيئاً من حطام الدنيا[1] كيف سفه أحلام قريش سادة العرب ، وسب آلهتهم ؟! وبأية قوة هدد كسرى ملك الشرق ، وقيصر ملك الغرب ، وكتب الى كل اسلم تسلم ؟!

وبكلمة واحدة ، ما هي القوة ؟ وما هو الدافع الذي بعث الانبياء والرسل على تلك المغامرات التي لا يقدم عليها الا معتوه لا

(١) كل ما ورثه النبي (ص) من أبويه امة ، وهي أم أيمن ، وخمسة جمال ، وقطيعة غنم ، وقد أعتق ام أيمن حين تزوج بخديجة .

يدري ما يقول ، او رسول لا ينطق بلسانه ، بل بلسان قوة خارقة وفوق القوى جميعاً ؟!•

وليس من شك ان الانبياء حين يدعون الجبابرة الطغاة ، وأهل الجاه والسلطان دعوة الحق انما يدعونهم مدفوعين بقوة لا تقاوم ، ويخاطبونهم باسم الله الذي يؤمنون به اكثر من ايمانهم بانفسهم ، وباسم الوحي الذي يسمعونه بعقولهم وآذانهم •

يقدم الجيش او يحجم بامر قائده ورئيسه ، ويبرز الفرسان الى الميدان فيقتلون او يقتلون ، ومن يقتل فهو شهيد تقام له حفلات التكريم والتعظيم ، وترفع له في الساحات العامة النصب والتماثيل ، وتوضع على قبره اكاليل الاوراد والزهور • وهكذا الانبياء يقدمون بدافع من الله وقيادته ، ويتحدون أهل القوة والسلطان بأمر الله وارادته ، فينتصرون او يقتلون ، وهم في الحالين عظماء يمتثلون امر الله ، وبه يعملون ، فاذا استشهدوا فانما يستشهدون ، وهم يبلغون كلمة الله الى خلقه ، ويمثلون الانسان في اسمى حالات الاخلاص والتضحية •

هذا هو منطق اهل الدين والعقل ، وهذي هي عقيدة اصحاب الايمان والوجدان ، اما الملحدون الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر من شباب هذا العصر ، ومثلهم السذج المغفلون من قبل ومن بعد ، اما هؤلاء فيقولون : لقد جازف الحسين بخروجه الى العراق ، لان أهله أهل الغدر والنفاق ، وأصحاب أبيه وأخيه ، واذا خرج ، وخدعته كتبهم ورسلهم فكان عليه ان يستسلم ، بعد ان رأى ما رأى ،

من عزمهم وتصميمهم على قتله ، وعجزه عن الذب والدفاع عن نفسه وأهله . قالوا هذا ، وهم يعتقدون ان الاستشهاد فضيلة ممن استشهد مع قائد يملك العدة والعدد ، اما الحسين في نظرهم فقد خاطر وجازف ، لانه استشهد ولا وقوة تدعمه وسلطان يناصره .

ان الذين يقولون هذا القول يخطئون الفهم ، ولا ينظرون الى ابعد من انوفهم ، ان الحسين لم ينهض من تلقاء نفسه ، ولم يخرج الى العراق رغبة في شيء من اشياء هذه الحياة ، وانما خرج بأمر الله ، وقاتل بارادة الله ، واستشهد بين يدي الله ، فكما ان الجندي لا مناص له من البراز والنزال حين صدرت اليه اوامر رئيسه وقائده كذلك الحسين لا ندحة له الى التخلص والفرار بعد ان امره الله .. مهما كان وفعل ، ويؤكد هذه الحقيقة قول الحسين لمن نهاه عن الخروج ، فلقد اتاه فيمن أتاه جابر بن عبدالله الانصاري ، وقال له : انت ولد رسول الله (ص) ، واحد سبطيه لا أرى الا ان تصالح كما صالح أخوك ، فأنه كان موفقا رشيدا . فقال له الحسين ، يا جابر قد فعل ذلك أخي بأمر الله تعالى ورسوله (ص) ، وأنا ايضا افعل بأمر الله تعالى ورسوله (ص) .

وهذا الجواب يحدد لنا سلوك الحسين في حياته كلها ، ولا يدع قولا لقائل ، وانه يسير بامر الله ، وعلى سنة جده محمد رسول الله (ص) ، فلقد اوقع النبي (ص) صلح الحديبية مع مشركي مكة بأمر الله ، ومحا كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ، ومحمد رسول الله

من كتاب الصلح بأمر الله[1] ورضي أبوه بالتحكيم يوم صفين بأمر الله وصالح أخوه الحسين معاوية بأمر الله ، ونهض هو نهضته المباركة بامر الله • ان الذين يعترضون على نهضة الحسين لا يفسرون الاشياء تفسيرا واقعيا ، ولا تفسيرا دينيا ، وانما يفسرونها تفسيرا ذاتيا وشخصيا محضا لا يمت الى العلم والدين بسبب ، ولا ينظرون الى حكمة الله وحجته البالغة التي يهلك بسببها من هلك عن بينة ، ويحيا من حيا عن بينة •

لقد بين سيد الشهداء كلمة الله ، ودعا الى الحق ، وحذر المخالفين من عاقبة الظلم والطغيان ، فمن خطبة له يوم الطف :

فسحقا لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحرفي الكلم ، وعصبة الاثم ، ونفثة الشيطان ، ومطفيء السنن ، ويحكم اهؤلاء تعضدون ، وعنا تتخاذلون ؟!• اجل ، والله غدر فيكم قديم ، وشجت عليه اصولكم ، وتأزرت فروعكم ، فكنتم اخبث ثمر شجي للناظر وأكلة للغاصب •

---

(١) في سنة خمس للهجرة خرج النبي من المدينة الى مكة في ناس من اصحابه يريد العمرة ، فمنعه المشركون من دخولها ، ثم وقع الصلح بينه وبينهم على ان يترك العمرة هذا السنة الى السنة القادمة فيدخل مكة بلا سلاح ، وأمر النبي علياً ان يكتب كتاب الصلح ، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فأبى المشركون الا محو البسملة والشهادة لمحمد بالرسالة ، فقال النبي للامام : أمح • فقال الامام : ان يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة ، والتفت الى مندوب المشركين ، وقال له : انه رسول الله رغم أنفك ، فتولى النبي (ص) المحو بنفسه •

الا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة !.. يابى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت ، وانوف حمية ، ونفوس ابية من ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ..

أما والله لا تلبثون بعدها الا كريثما يركب الفرس ، حتى تدور بكم دور الرحى ، وتقلق قلق المحور ، عهد عهده الي ابي عن جدي رسول الله « فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » .

وقال الحسين ، حين بلغه مقتل ابن عمه مسلم : « وايم الله لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسنهم الله ذلا شاملا ، وسيفا قاطعا » .

ليس هذا القول تنبأ بالصدفة ، وأخذا من مجرى الحوادث . كلا ، وانما هو كما قال الأمام عهد من الله سبحانه الى نبيه محمد ، ومنه الى امير المؤمنين ، ومنه الى الامام الشهيد ، وقد صدق التاريخ ذلك ، وما نقص منه شيء ، فلم يلبث قاتلو الحسين(ع) حتى دار الزمن بهم دوراته ، وضربهم بضرباته .

لقد دعا نبي الله يحى الى الواحد الاحد ، فقتله جبار أثيم ، واهدى رأسه بطست الى بغي ، ودعا الحسين الى الحق والعدل ، فقتله الطغاة ، واهدوا رأسه الى يزيد اللعين ، وقتل زكريا وغيره من الانبياء ، وهم يبشرون وينذرون ، فاذا كان الحسين قد اخطأ في استشهاده من اجل الحق والعدل فقد اخطأ اذن الانبياء والاولياء

والمصلحون الذين قتلوا وشردوا في سبيل الله واعلاء كلمة الحق ، والقاء الحجة على المبطلين •

قال علي بن الحسين : ما نزل ابي منزلا ، او ارتحل عنه في مسيره الى العراق الا وذكر يحى بن زكريا ، وقال يوما : من هوان الدنيا على الله تعالى ان رأس يحى اهدى الى بغي من بغايا بني اسرائيل •

ذكر الحسين يحى للشبه بين الاثنين ، فلقد اهدى رأس الحسين الى بغي من بغايا الامويين الذين كانوا أشر ، وأضر على العرب والمسلمين من صهاينة هذا العصر • نكث يزيد رأس الحسين بالخيزران عنادا لله ورسوله ، ولان في هذا الرأس الشريف علوم القرآن الكريم والرسول العظيم •

ايهدى الى الشامات رأس ابن فاطم
ويقرعه بالخيزرانه كاشحه

وتسبى كريمات النبي حواسرا
تفادي الجوا من ثكلها وتراوحه

يلوح لها رأس الحسين على القنا
فتبكي وينهاها عن الصبر لائحه

رضا الله رضانا اهل البيت

من كلام سيد الشهداء ابي عبدالله الحسين (ع) :

اللهم اجعلني اخشاك كأني أراك .. واجمعني عليك بخدمة توصلني اليك ، وكيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون المظهر لك ؟! متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟! عميت عين لا تراك عليها رقيبا ، وخسرت صفقة عبدلم يجعل له من حبك نصيبا[1] .

هكذا عرف الله سبحانه أئمة أهل البيت (ع) . عرفوه حتى كأنهم يرونه وجها لوجه ، وحتى كأنهم يسمعون اوامره ونواهيه رأسا وبلا واسطة ، لقد فتح الله لهم أبواب العلوم بربوبيته وعظمته ، واضاء لهم طرق الاخلاص له في توحيده وطاعته ، وشرفهم بالفضائل على جميع خلقه ، فما نطقوا الا بكلمة الله ، وما عملوا الا بما يرضى الله وما قطعوا امرا الا بأمر من الله . لما عزم الحسين على الخروج الى العراق قام خطيبا ، وقال :

الحمد لله ما شاء الله ، ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على رسوله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما اولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف ، وخير لي مصرح انا لاقيه ، كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملأن مني اكراشا جوفا ، واجربة سغبا ، لا محيص عن يوم خط

---

(١) كتاب الاقبال لابن طاوس ، من دعاء الحسين يوم عرفة .

بالقلم ، رضا الله رضانا اهل البيت ، نصبر على بلائه ، ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله (ص) لحمتنا ، وهي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقر بهم عينه ، وينجز بهم وعده ، الا من كان باذلا فينا مهجته ، وموطنا على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فانني راحل مصبحا ،انشاء الله •

قيل للامام الصادق (ع) : بأي شيء يعلم المؤمن انه مؤمن ؟ قال بالتسليم والرضا فيما ورد عليه من السرور او السخط •

اذن لا يقاس المؤمن المخلص بالاعتقادات والعبادات ، وانما يقاس ايمانه واخلاصه بالتسليم لأمر الله ، وطيب نفسه بما يرضي الله ولو كان قرضا بالمقاريض ، ونشرا بالمناشير •

قال امير المؤمنين : اوحى الله الى داود : تريد ، واريد ، ولا يكون الا ما أريد ، فان سلمت لما أريد اعطيت ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون الا ما اريد • وقال : لا تسخط الله برضا احد من خلقه ، فان في الله خلفاً من غيره ، وليس من الله خلف في غيره • وقال رسول الله (ص) : من طلب رضا مخلوق بسخط الخالق سلط الله عليه ذلك المخلوق •

واوضح مثال على هذه الحقيقة جزاء ابن زياد لابن سعد • قاتل هذا الحسين (ع) طمعا في ملك الري ، فحرمه من الملك ، ثم سلط الله عليه المختار فذبحه على فراشه ، وحرمه الحياة • « فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين » •

ولبى اصحاب الحسين نداءه ، ورحلوا معه ، وبذلوا مهجهم

دونه طلبا لمرضاة الله ، ورغبة بلقائه وثوابه ، فلقد كـــان حنظلة بن اسعد الشبامي يوم الطف يقف بين يدي الحسين يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره ، وينادي يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ، مثل قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلما بالعباد ، يا قوم اني اخاف يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ، مالكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، يا قـــوم لا تقتلوا حسينا ، فيسحتكم الله بعذاب ، وقد خاب من افترى .

ثم قال حنظلة : السلام عليك يا ابا عبدالله ، صلى الله عليـــك وعلى أهل بيتك ، وعرف بيننا وبينك في جنته ، وقاتل حتى قتـــل رضوان الله عليه ، وكان من الذين عناهم الله بقوله تعالى : « ومـــن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » .

روح النبي والوصي

قال عبدالله بن عمار ، وقد شهد معركة الطف : ما رأيت مكثورا قط ، قتل ولده وأهل بيته واصحابه اربط جأشا من الحسين ، وان كانت الرجال لتشد عليه ، فيشد عليها بسيفه ، فتنكشف عنه انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب ، وكان يحمل فيهم ، وقد تكاملوا ثلاثين الفا ، فينهزمون بين يديه ، كأنهم الجراد المنتشر ، ثم يرجع الى مركزه ، وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

لقد دهش هذا الراوي من شجاعة الحسين ، ومضي عزمه ، وذهل ، وهو ينظر اليه ، وقد شد على ثلاثين الفا فتنكشف عنه انكشاف المعزى اذا شد عليها الليث ، لقد دهش وذهل ، وما درى انه ابن علي القائل : والله لو اجتمع علي أهل الارض لما وليت مدبرا ، وتعجب الراوى من صبر الحسين وايمانه ، ونسى انه ابن من خاطب الله بقوله : اللهم انك تعلم لو اني اعلم ان رضاك في ان اضع ظبة سيفي في بطني ، ثم انحني عليه حتى يخرج من ظهرى لفعلت •

ان اهل البيت لا يقيمون وزنا لشيء في هذه الحياة ، ولا يكترثون ، ولو ملئت الارض عليهم خيلا ورجالا ويصبرون على التضحية بالنفس والنساء والاطفال ، ويطيقون كل حمل الا سخط الله وغضبه ، فانهم يفرون منه ، ويعجزون عنه ، ولا يستطيعون الصبر على اليسير منه ، مهما تكن الظروف •

وهنا تبرز خصائص الامامة والعصمة[1] ونجد السر الذي يميز اهل البيت عن غيرهم من الناس الذين يصعب عليهم كل شيء الا معصية الله ، فانها اهون عندهم من التنفس وشرب الماء ، ان الحسين بشر يأكل الطعام ، ويمشي في الاسواق ، ولكنه يحمل صفة تجعله فوق الناس اجمعين ، وقد أشار النبي (ص) الى هذه الصفة بقوله : « حسين مني ، وانا من حسين » ومحمد من نور الله ، فالحسين ، اذن من نور الله ، وقد علق الأستاذ العلايلي على هذا الحديث بانه يفيد الامتزاج والاتحاد[2] .

قال الاستاذ العقاد في كتاب « ابو الشهداء » :

« ظل الحسين على حضور ذهنه ، وثبات جأشه في تلك المحنة المتراكمة التي تعصف بالصبر ، وتطيش بالالباب .. وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم والدم . فانه رضى الله عنه كان يقاسي جهد العطش والجوع والسهر ، ونزف الجراح ومتابعة القتال ، ويلقي باله الى حركات القوم ومكائدهم ، ويدبر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات ، ويتقون به تلك المكائد ، ثم يحمل بلاءه وبلاءهم . ويتكاثر عليه وقر الاسى لحظة بعد لحظة ، كلما فجع بشهيد من

---

(١) استدل علماء الشيعة على عصمة الامام بأن الغاية من وجوده ارشاد الناس الى الحق ، وردعهم عن الباطل ، فلو اخطأ او عصى لكان كمن يزيل القذارة بمثلها ، ولافتقر الامام الى آخر ، ويتسلسل ، وهذا دليل نظري ، اما الدليل العملي الملموس على عصمة علي واولاده الأئمة فسيرتهم وتضحياتهم في سبيل الحق والعدالة ، وكفى بموقف الحسين دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على عصمته .

(٢) سمو المعنى في سمو الذات ص ٧٨ طبعة ١٩٣٩ .

شهدائهم . ولا يزال كلما اصيب عزيز حمله الى جانب اخوانه ، وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه ، وينسون في حشرجة الصدور ما فيهم .. فيطلبون الماء ، ويحز طلبهم في قلبه كلما اعياه الجواب ، ويرجع الى ذخيرة بأسه ، فيستمد من هذه الالام الكاوية عزما يناهض به الموت ، ويعرض به عن الحياة .. ويقول في اثر كل صريع : لا خير في العيش بعدك » .

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يمس احدنا الخطب مسا خفيفا فيملأ الدنيا صراخا وعويلا ، ويمتحنه الله بنقص من المال او الاهل ، فيخرج من عقله ودينه ، ويجرأ على خالقه بالفاظ تصم منها المسامع ، وتخرس لها الالسن . وتنهال السهام والسيوف والرماح على الحسين ، ويتفجر جسده الشريف بالدماء ، ويتساقط القتلى من اولاده واصحابه بالعشرات ، وهو ينظر اليهم ، ثم لا يزيد على قول : لا حول والا قوة الا بالله ! أجل ، لقد قال حين سقط على الارض مخاطبا ربه ، وهو يسلمه النفس الاخير :

« اللهم انك قريب اذا دعيت ، محيط بما خلقت ، قابل التوبة لمن تاب اليك ، قادر على ما أردت .. ادعوك محتاجا ، وأرغب اليك فقيرا ، وأفزع اليك خائفا » .

أنت خائف من ربك يا ابا عبدالله ، وغيرك في امان من عقابه !. ومن اى شيء تخاف ! من ظلمك وطغيانك .. وما ظلم احد في الكون كما ظلمت .. او من تهاونك بأمر الله ، وكنت تصلي له في

اليوم والليلة الف ركعة •! او من سكوتك عن حكام الجور ، وترك الامر بالمعروف • وما ضحى احد في هذه السبيل كما ضحيت !•• او تخشى جبنك وخورك ، وقد لاقيت ثلاثين الفا بصدرك وقلبك ، وكنت عنوانا لصبر الانبياء ، ومثال الشجاعة والاباء لكل جيل كان ويكون !••

اذاً ماذا أراد الحسين بقوله : « وافزع اليك خائفا » • انه أراد ان يقول لله سبحانه : على الرغم من كل ما حل بي يا الهي فأنا طيب النفس ، صابر على امتحانك وبلائك ، راض بحكمك وقضائك ، وما أنا بمتألم ولا متبرم ، لانه لا مطمح لي الا رضاك ، فان تألمت وخفت من شيء فانما أخاف ان تمنعني حبك وقربك •

وهنا يقف العقل حائرا ومتسائلا : هل في الكون اعظم واكبر منزلة عند الله من الحسين ؟؟ هل ضحى احد في سبيل الله والحق كما ضحى الحسين وهل وجد من هو في عمقه ورحابته ؟! ولو ابتلى احد بما ابتلى به الحسين لوجدنا وجها للموازنة والمقارنة • لقد سمعنا بمن ضحى بنفسه ، او بماله ، او باولاده ، اما من ضحى بكل هذه مجتمعة ، اما من ذبح أطفاله الصغار والكبار ، وقتل جميع اهل بيته واصحابه ، وسبيت نساؤه ، واحرقت دياره ، ونهبت امواله ، ورفع رأسه على الرمح ، ووطأت الخيل صدره وظهره ، اما كل هذه مجتمعة فلم تكن لاحد غير الحسين ، ولن تكون أبدا وبالتالى ، فانا نتساءل : هل في الكون اعظم من الحسين ؟ ونحن نؤمن بانه الصورة الكاملة لعظمة جده محمد ، وابيه علي •

خروج الأمام بأهله

قامت المرأة بدور هام في وقعة الطف ، وكان لها ابعد الاثر في الكشف عن مخازي الامويين ، وانهيار حكمهم ، وتألب الناس عليهم ، فمن النساء من دفعت بابنها او زوجها الى القتل بين يدي الحسين تقربا الى لله والرسول ، كما فعلت ام وهب وزوجته ، ومنهن من حملن السلاح للدفاع عن نساء النبي وأطفاله ، ومنهن من تظاهرن ضد حكام الجور الذين قتلوا ابن بنت الرسول ، ورشقن جيش الطغاة بالحجارة هاتفات بسب يزيد وابن زياد .

ارسل الحسين رسولا الى زهير بن القين ليأتيه ، ولما دخل عليه الرسول وجده مع قومه يتغذون ، وحين ابلغه رسالة الحسين طرح على كل انسان ما في يده ، وجمد حتى كأن على رأسه الطير ، فالتفت امرأة زهير ، وقالت : ياسبحان الله ! أيبعث اليك ابن رسول الله ، ثم لا تأتيه ؟! فذهب زهير الى الحسين ، وما لبث ان جاء مستبشرا مشرق الوجه ، وقال : قد عزمت على صحبة الحسين لافديه بنفسي ، واقيه بروحي ، ثم التفت الى زوجته ، وقال : لها أنت طالق ، الحقي بأهلك ، فاني لا أحب ان يصيبك بسببي الا خير ، واعطاها ما لها ، وسلمها الى بعض اهلها . فقامت اليه ، وبكت وودعته قائلة : كان الله عونا ومعينا لك ، خار الله لك ، اسألك ان تذكرني يوم القيامة عند جد الحسين .

لقد دفعت هذه الحرة المصونة المؤمنة بزوجها الى سعادة الدارين ونالت الدرجات العلى عند الله والناس ، فما زال اسمها يعلن على

المنابر ، ويدون في الكتب مقرونا بالحمد والثناء الى يوم يبعثون ، وهي في الاخرة مع جد الحسين وأبيه وأمه ، وحسن اولئك رفيقا ، وهكذا المرأة العاقلة المؤمنة تدفع بزوجها الى الخير ، وتردعه عن الشر ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

وكانت امرأة من بني بكر بن وائل مع زوجها في اصحاب عمر بن سعد ، فلما رأت القوم قد اقتحموا على اطفال الحسين ونسائه هاربات حاسرات ، يستغثن ويندبن ، ولا مغيث ، اسودّ الكون في وجهها ، وفار الدم في قلبها وعروقها ، واخذت سيفا ، واقبلت نحو الفسطاط منادية يا آل بكر أتسلب بنات رسول الله ؟! لا حكم الا لله ! يا لثارات رسول الله ! فأخذها زوجها ، وردها الى رحله .

وليس من شك ان ثورة هذه السيدة النبيلة قد بعثت الاستياء والنقمة على الامويين ، وملأت النفوس عليهم وعلى سلطانهم حقدا وغيظا ، وكل ما حدث في كربلاء وفي الكوفة وفي مسير السبايا الى الشام كان من اجدى الدعايات وانفعها ضد الامويين .

أمر ابن زياد ان يطاف بالرأس الشريف في ازقة الكوفة يهدد به كل من تحدثه نفسه بالخروج عن طاعته وطاعة اسياده ، فكان هذا التطواف خير وسيلة لنشر الدعوة العلوية ، ومبدأ التشيع لأهل البيت ، ولعن من شايع وبايع وتابع على قتل الحسين ، وسلام الله على السيدة الحوراء حيث قالت ليزيد : « فوالله ما فريت الا جلدك ، وما حززت الا لحمك » .

وبعد الطواف بالرأس ارسله ابن زياد وسائر الرؤوس الى يزيد

مع ابي بردة وطارق بن ضبان في جماعة من اهل الكوفة ، ثم أمر بنساء الحسين وصبيانه فشدوا بالحبال على اقتاب الجمال مكشوفات الوجوه ، ومعهم الأمام زين العابدين قد وضعت الاغلال في عنقه ، وسرح بهم ابن زياد مع مخفر بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن ، فاسرعا حتى لحقا بالقوم الذين معهم الرؤوس ، وكانوا اذا مروا ببلد استقبلهم اهله بالمظاهرات والهتافات المعادية ، ورشقتهم النساء والاطفال بالحجارة يصرخون بهم : يا فجرة يا قتلة اولاد الأنبياء .

سبوا الاطفال والنساء ، وطافوا بهن وبالرؤوس ليقضوا على مبدأ علي وابناء علي ، فكان السبي والتطواف ضربة مميتة لهم ولسلطانهم ، ووسيلة حققت الغاية التي أرادها الحسين من نهضته ، فلقد أثار السبي الاحزان والاشجان في كل نفس ، وزاد من فجائع الواقعة المؤلمة ، وكشف أسرار الامويين للقاضي والداني ، وظهرت قبائحهم ومخازيهم للعالم والجاهل ، واستبان للمسلمين في كل مكان وزمان ان الامويين اعدى اعداء الاسلام يبطنون الكفر ، ويظهرون الايمان رياء ونفاقا .

وبذلك نجد الجواب عن هذا السؤال : لماذا صحب الحسين معه والنساء والاطفال الى كربلاء ؟! وما كان اغناه عن تعرضهم للسبي والتنكيل ؟!

لقد صحبهم معه الحسين ليطوفوا بهم في البلدان ، ويراهم كل انسان مكشفات الوجوه ، يقولون للناس – وفي ايديهم الاغلال والسلاسل – : أيها الناس انظروا ما فعلت امية التي تدعى الاسلام بآل نبيكم .

نقل عن السبط ابن الجوزي عن جده انه قال : « ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسينا ، وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ، ويحمل نساءه سبايا على اقتاب الجمال !.. » لقد رأى الناس في السبايا من الفجيعة اكثر مما رأوا في قتل الحسين ، وهذا بعينه ما أراده الحسين من الخروج بالنساء والصبيان ، ولو لم يخرج بهن لما حصل السبي والتنكيل ، وبالتالي لم يتحقق الهدف الذي أراده الحسين من نهضته ، وهو انهيار دولة الظلم والطغيان . ولو افترض ان السيدة زينب بقيت في المدينة ، وقتل اخوها في كربلاء فماذا تصنع ؟! واي عمل تستطيع القيام به غير البكاء واقامة العزاء ؟!.

وهل ترضى لنفسها ، او يرضى لها مسلم ان تركب جملا مكشوفة الوجه تنتقل من بلد الى بلد تألب الناس على يزيد وابن زياد ؟! وهل كان يتسنى لها الدخول على ابن زياد في قصر الامارة وتقول له في حشد من الناس : « الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد ، وطهرنا من الرجس تطهيرا ، انما يفتح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا » ؟! وهل كان بامكانها ان تدخل على يزيد في مجلسه وسلطانه ، وتلقي تلك الخطب التي اعلنت بها فسقه وفجوره ، ولعن آبائه وأجداده على رؤوس الاشهاد ؟!

ان السيدة زينب لا تخرج من بيتها مختارة ، ولا يرضى المسلمون لها بالخروج مهما كان السبب ، حتى ولو قطع الناس يزيد باسنانهم ، ولكن الامويين هم الذين اخرجوها ، وهم الذين ساروا بها ، وهم الذين ادخلوها في مجالسهم ، ومهدوا لها طريق سبهم ولعنهم ، والدعاية ضدهم وضد سلطانهم .

ومرة ثانية نقول : هذه هي المصلحة في خروج الحسين بنسائه وأطفاله الى كربلاء ، وما كان لاحد ان يدركها في بدء الامر الاالحسين واخته زينب ، عهد الى الحسين من أبيه علي عن جده محمد عن جبريل عن رب العالمين • سر لا يعلمه الا الله ومن ارتضاه لعلمه ورسالته •

ما ذنب أهل البيت ؟!

سؤال رددته الاجيال منذ القديم ، ويردده الآن كل انسان ، وسيبقى خالدا الى آخر يوم لا يقطعه مرور الزمن ، ولا تحول دونه الحوادث وان عظمت .

سؤال نظمه الشعراء في آلاف القصائد ، ودونه الكتاب في مئات الكتب ، واعلنه الخطباء على المنابر في كل جزء من اجزاء المعمورة .

سؤال ردده المؤمن والجاحد ، والكبير والصغير حتى الاطفال .

سؤال كبير في معناه ، صغير في مبناه يُعبر عنه بكلمتين فقط ، وهـذا هو :

مـا ذنب أهل البيت	حتى منهم اخلوا ربوعه
تركـوهم شتى مصا	ئبهم واجمعها فظيعه
فمغيـب كالبـدر تر	تقب الورى شوقا طلوعه
ومكابد للسم قـد	سقيت حشاشته نقيعه
ومضـرج بالسيـف ا	ثر عزه وابى خضوعه
فقضى كمـا اشتهت الحمية	تشكر الهيجا صنيعه
ومصفـد لله سـلم	امر ما قاسى جميعـه
وسـلبية باتت بافعى	الهم مهجتهـا لسيعه

ومرة ثانية

ما ذنب أهل البيت حتى منهم اخلوا ربوعه ؟!

واي ذنب أعظم من ذنب الحـرة الطاهـرة عنـد الفاجرات

العاهرات ؟! وأي جرم اكبر من جرم الامين المجاهد في سبيل الله عند الخونة الذين باعوا دينهم وضمائرهم للشيطان ؟! واي اساءة تعادل اساءة المحق عند المبطلين ؟! وأي عداء اقوى من عداء الجهلة السفهاء للعالم الشريف ؟!

ألا يكفي أهل البيت من الذنــوب ان يشهد القرآن بقداستهم وتطهيرهم ، وان تعلن الاذاعات في شرق الارض وغربها في كــل يوم ، وفي كل صباح ومساء « يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ؟! الا يكفي أهل البيت جرما ان يقول عنهم الرسول الاعظم : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق » ؟! وماذا ابقى اذن الى غيرهم ؟ الا يكفي علي من الذنوب والعيوب ان يقول النبي : انا مدينة العلم ، وعلي بابها • وان يقول له : أنت اخي في الدنيا والآخر •• من كنت مولاه فعلي مولاه• ولم يقل هذا في حق احد سوى علي • الا يكفي علي عيبا ان يقول عنه سيد الرسل حين برز لابن ود : نزل الايمــان كله الى الشرك كله ؟! اما ذنب علي الذي لا كفارة له أبداً فهو ان يسأل الله الناس غدا عن ولايته ومتابعته ، كما يسألون عن الايمان بالله والرسول واليوم الآخر ، قال ابن حجر ، وهو من علماء السنة في كتــابه الصواعق المحرقة : ان قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسئولون ـ الصافات ٢٤ » نزلت في علي ، وان الناس مسئولون عن ولايته • هذي هي عيوب الامام ، وهذي هي ذنوب ابنائه عليهم السلام !••

قال الامام احمد بن حنبل لما سئل عن معاوية : ان قوماً ابغضوا علياً ، فطلبوا له عيباً فلم يجدوه ، فعمدوا الى رجل قد ناصبه العداء ،

فاطروه كيدا لعلي ..

أجل ، انهم لم يجدوا . ولن يجـــدوا عيباً واحدا للامام ، ولو حرصوا كل الحرص ، ولـكن هـذا لا يمنعهم من الافتراءات والاكاذيب ، كما لم يمنعهم مقام الرسالة عما نسبوه الى النبي (ص) من انه هوى امرأة زيد بن حارثة ، وانه لم يزل بها حتى استخلصها لنفسه ، واقرأ معي هذه الفرية لتعرف جرأتهم على الله والرسول :

كان هاشم المرقال[1] بطلا شجاعاً ، ومؤمناً صادقاً ، وكان من افاضل اصحاب النبي (ص) ، وصاحب لواء الامام يوم صفين قاتـــل قتالا شديداً حتى قتل في نصرة الامام في اليوم الذي استشهد فيـــه عمار بن ياسر ، وفي ذات يوم رأى شاباً يخرج من عـــسكر الشـام يضرب عسكر الامام بسيفه ضرب المستميت ، ومن غير وعي ، فأتاه وكلمه بهدوء ، وقال له : يا هذا انك تقف موقفاً غريباً ، انت مسئول عنه غداً . فقال له الشاب : لقد قيل لي : ان صاحبكم لا يصلي !.. فقال له هاشم : انهم خدعوك فعلي ولد في الكعبة ، واول من صلى مع الرسول الى القبلة ، وقاتل معاوية وأباه من أجل الصلاة ، ولو رأيت عسكر علي في ظلام الليل لرأيت التهجد والتضرع ، والصلوات وتلاوة القرآن ، فاقتنع الشاب وترك القتال .

وقال الشمر اومن هو على شاكلته ، قال للحسين ، وهو يصلي في قلب المعركة قبل مصرعه ، : صل ياحسين،انك صلاتك لاتقبل . الله اكبر !.. لا يقبل الله صلاة الحسين ، ويقبل من الشمر قتـــل

(١) طعنه الحرث بن المنذر في بطنه فسقط على الارض ، وقد رأى عبيدالله بن عمر صريعا الى جانبه ، فجثى حتى دنا منه وعض على ثدييه حتى تبينت فيه انيابه ، ثم مات هاشم ، وهو على صدر عبيدالله.

الحسين !•• وقال ابن زياد حين بلغه قتل الحسين : الحمد لله الذي قتل حسينا ، ونصر امير المؤمنين يزيد !•• وعندما اوتي بمسلم بن عقيل لابن زياد ، وكان قد آلمه العطش من اثر القتال ، فرأى قلة ماء فطلب ان يسقوه منها ، فقال له باهلي : لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم ، وكان يزيد ينكث ثنايا الحسين بقضيب مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله ، وسجد معاوية شكرا لله بعد ان قتل الحسن بالسم ، وهكذا يدلسون ويموهون ، ليثق بهم السذج البسطاء ، ويثنوا المخلصين عن طريق الحق والجهاد في سبيله ولكن الله ، وهو احكم الحاكمين قد فضحهم الى يوم يبعثون ، وعاملهم بخلاف قصدهم ، اما المخلصون فلم يكترثوا •

يزري الجبان بسيف عنترة والبخيل بجود حاتم

ومهما تكن الدعايات والافتراءات فلا تستطيع الصمود امام الحقيقة ، امام عظمة الامام وابناء الامام • فهذه المحافل في كل مكان ، وهذه الدموع الجارية انهرا على الحسين ، وهذه الاصوات المدوية بالصلاة عليهم ، واللعنة على اعدائهم وقاتليهم ، وهذه القباب الذهبية التي تناطح السحاب ، وهذه الوفود التي تؤمها من كل حدب وصوب كل هذه ، وما اليها ان هي الا صواعق وقنابل تنهال على اعداء أهل البيت ، والا نشيد الخلود يردده الدهر الى يوم يبعثون •

أجل ، لقد قتل الحسين ، وغرق جسمه الشريف في بحر من دمائه ، اما روحه وذكراه ، اما مبدأه وعمله ففي بحر من عطر ونور •

ان يبق ملقى بلا دفن فانه له

قبرا باحشاء من ولاه محفورا

ما هذا البكاء ؟!

لك عندي ما عشت يا ابن رسول الله حزن يفي بحق ودادي
ناظر بالدموع غير بخيل وحشى بالسلو غير جواد

هذا هو شعار الشيعة : قلب حزين ، وطرف دامع على مصاب اهل البيت (ع) .

وقال قائل : الا يجد الشيعة سبيلا يعبرون به عن ولائهم لاهل البيت غير البكاء والدموع ؟!.

قلت : أجل : نعبر ايضا عن ولائنا لهم بالصلوات الى مقاماتهم المقدسة ، والتبرك باضرحتهم ، وبشد الرحال الى مقاماتهم المقدسة ، والتبرك باضرحتهم الشريفة .

قال : تعيشون في عصر الذرة والكواكب ، ثم تبكون على من مات من مئات السنين ، وتشدون الرحال الى الاحجار والصخور ؟!.

قلت : اما البكاء على الحسين (ع) فليس بكاء على من فات ، كما يفهمه الجاهلون ، ولا هو بكاء الذل والانكسار ، وانما هو احتجاج صارخ على الباطل وأهله ، انه صواعق تنهال على رؤوس الطغاة الظالمين في كل زمان ومكان ، انه تعبير صادق عن الاخلاص للحق ، والنقمة على الجور ، انه تعظيم للتضحية والفداء ، والحق والواجب ، والشجاعة على الموت ، واكبار للأنفة من الضيم ، والصبر في المحنة والشدائد . ان الذين ينشدون في محافل التعزية :

لا تطهر الارض من رجس العدا أبدا
ما لم يسل فوقها سيل الدم العرم

لا يبكون بكاء الذل والضعف ، بل ينظمون نشيد الحماس من دموعهم ، ويرددون هتاف الحق والعدل من الحسرات والزفرات .

اما زيارات الاماكن المقدسة ، اما الصخور والاحجار فليست الهدف والغاية ، ولو كانت هي القصد لكان في هذه الجبال الشامخات غني عن مشقة السفر والترحال ، ان المقصود بالذات هو صاحب المقام ، اما الاحجار فلها شرف الانتساب ، تماما كالاحجار التي بني منها البيت الحرام ، ومسجد الرسول وسائر المعابد ، وكجلد القرآن الكريم[1] وقد رأيت كيف تحتفظ الشعوب والدول ببيوت الادباء الكبار ، كشكسبير ، ولامرتين ، وهوغو وغيرهم ، وتحيطها بهالة من التقديس والتعظيم . ولو عرض للبيع ساعة او حذاء او أي شيء ينسب لعظيم قديم لبذل في سبيله اغلا الأثمان ، وما ذاك الا لشرف الانتساب .

جاء في التاريخ انه حين أتي برأس الحسين الى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ، والرأس الشريف بين يديه ، فصادف ان دخل عليه رسول ملك الروم ، وهو على هذه الحال ، فانكر عليه اشد الانكار بعد ان علم ان الرأس هو رأس الحسين ، وقال له فيما قال : هل سمعت يا يزيد حديث كنيسة الحافر ؟ قال : وما هي ؟ قال الرومي : عندنا مكان يقال بان حمار عيسى (ع) مر به ، فبنينا فيه كنيسة الحافر نسبة الى حافر حمار عيسى ، ونحن نحج الى المكان

---

(١) حكم الفقهاء بتحريم تنجيس المساجد ارضها وحيطانها وحصيرها وفرشها ، واوجبوا ازلة النجاسة ، وقالوا بتحريم مس كتابة القرآن الكريم الا مع الوضوء ، وقال الشافعية : لا يجوز مس جلده ايضا ، حتى ولو انفصل عنه ، ولا مس علاقته ما دام القرآن معلقا بها .

في كل عام ، ومن كل قطر ، ونهدي اليه النذور ، ونعظمه كمـــا تعظمون كتبكم ، فاشهد انك على باطل ، فأمر يزيد بقتل الرسول ، فقام الرومي الى الرأس فقبله وتشهد الشهادتين ، ثم اخذ ، وصلب على باب القصر !..

وقال الاستاذ العقاد في كتاب « ابو الشهداء » تحت عنوان الحرم المقدس : « عرفت قديمـــا باسم » كور بابل ثم صحفت الى كربلاء ، فجعلها التصحيف عرضة لتصحيف اخر يجمع بين الكرب والبلاء ، كما وسمها بعض الشعراء .

ولم يكن لها ما تذكر به في اقرب جيرة لها فضلا عن ارجـــاء الدنيا البعيدة منها .. فليس لها من موقعها ، ولا من تربتها ، ولا من حوادثها ما يغري احدا برؤيتها ، ثم يثبت في ذاكرة من يراها ساعة يرحل عنها .

فلعل الزمن كان خليقا ان يعبر بها سنة بعد سنة ، وعصرا بعد عصر دون ان يسمع لها اسم ، او يحس لها بوجود . . وشـــاءت مصادفة من المصادفات أن يساق اليها ركب الحسين بعد ان حيل بينه وبين كل وجهة اخرى ، فاقترن تاريخها منـــذ ذلك اليـــوم بتاريخ الاسلام كله . ومن حقه أن يقترن بتاريخ بني الانسان حيثما عرفت لهذا الانسان فضيلة تستحق بها التنويه والتخليد .

فهي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة ، ولكنها لو اعطيت حقها من التنويـــه والتخليد ، لحق لها ان تصبح مزارا لكل آدمي يعرف لبني نوعـــه نصيبا من القداسة ، وحظا من الفضيلة ، لاننا لا نذكر بقعة من بقـــاع

هذه الارض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب اسمى والزم لنوع الانسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها .

هذه شهادة حق من خبير منصف ، لقد اقترن تاريخ كربلاء بتاريخ الاسلام كله ، فما من كتاب في تاريخ العرب والمسلمين الا ولكربلاء منه الحظ الاوفر ، كما ظهر اثرها في كتب الغرب ، ودواوين الشعراء ، وما ذكرت على لسان ، او في كتاب الا بالاكبار والتعظيم ، ولولا الحسين لم تكن شيئا مذكورا :

ما روضة الا تمنت انها لك مضجع ولخط قبرك موضع

من اخلاق الامام زين العابدين

كان من اخلاق زين العابدين ، وما اخلاقه الا اخلاق ابيه الحسين ، وما اخلاق الحسين الا اخلاق ابيه علي ، وما اخلاق علي الا اخلاق ابن عمه محمد ، وما اخلاق محمد الا اخلاق القرآن التي عبر عنها الرسول بقوله : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، والتي شهد الله بها لرسوله في محكم كتابه العزيز « انك لعلى خلق عظيم » ، و كل واحد من أئمة أهل البيت على خلق جده النبي المختار (ص) .

كان من اخلاق الأمام زين العابدين (ع) الاحسان لمن اساء اليه فقد روي انه كان له ابن عم يؤذيه ، فكان يأتيه الامام ليلا ، ويعطيه الدنانير ، وهو متستر ، فيقول له : لكن علي بن الحسين لا يوصلني ، لا جزاه الله خيرا ، فيسمع الأمام ذلك ويصبر ، فلما مات انقطعت عنه الدنانير ، فعلم ان الذي كان يعطيه ويوصله هو الامام زين العابدين (ع) .

وكان هشام بن اسماعيل والياً على المدينة من قبل عبدالملك بن مروان ، وكان ايام ولايته يتعمد الاساءة الى الامام زين العابدين ، ولما حكم الوليد بعد والده عبدالملك عزل هشاما ، وأمر ان يوقف في طريق عام ، ويعرض للناس ، كي يقتص منه كل من اساء اليه أيام ولايته ، فكان الذين يمرون به من الذين ظلمهم واساء اليهم يشتمونه ، ويضربونه ، ويطالبونه برد ظلامتهم ، وكان اخوف ما يخاف من الامام زين العابدين لكثرة ما اساء اليه .

ولكن الامام (ع) جمع أهله وخاصته ، وأوصاهم ان لا يتعرض

له احد منهم بما يكره ، وكان يمر به فيسلم عليه ، ويلطف بـه ، ويقول له : انظر الى ما اعجزك من مال تطالب به ، فعندنا ما يسعدك فطب نفسا منا ومن كل من يطيعنا • فقـال هشام : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » •

وبعد مذبحة كربلاء ثار أهل المدينة على الامويين وطردوهم منها وأراد مروان بن الحكم ان يستودع أهله واولاده ، ويأمن عليهم عند من يحميهم من القتل والتشريد ، فلم يقبلهم أحد ، فضمهم الامـام زين العابدين الى عياله ، وحماهم بكنفه ، واحسن اليهم ، ودافـع عنهم ، ولم يدع احدا يصل اليهم بسوء •

والحكم والد مروان كان يؤذي الرسول في مكة ، ويستهزيء به ، ويخبر عنه المشركين ، وقد عفا النبي عنه فيمن عفا من الامويين يوم الفتح • وابنه مروان قاد الجيوش يوم الجمل مع عائشة وطلحة والزبير لحرب امير المؤمنين علي ، وعفا عنه بعد ان وقـع اسيرا في قبضته ، فتركه لينضم الى معاوية يحارب عليا في صفين ، وبعـد ان استتب الامر لمعاوية ، ونصب مروان واليا على المدينة جعـل مروان يؤذي الامام الحسن ، ويجرعه الغيظ ، ثم كـانت مجزرة الطف ، وظهرت مخازي الامويين في أبشع صورها •

وبعد هذا كله لا يصفح الامام زين العابدين عن اسواء اميـة ، ويتجاهلها فحسب ، بل احسن اليهم ، وحمى لهم العيال والاطفال ، وضمهم الى اهله واولاده ، ودفع عنهم السوء والاذى ، هذا بعد ان ذبح الامويين اخاه الرضيع ، ووطأوا الخيل صدر ابيـه وظهره ، واسروا الامام زين العابدين مع عماته مكبلا بالحديد ، وهو لما بـه

من الاسقام والآلام .

ويعجب كل من عرف هذه الحقيقة ، ويتساءل في حيرة وذهول : كيف فعل الامام زين العابدين هذا الفعل مع من وقف ذاك الموقف معه ومع جده وابيه وعمه واخوته ونسائه ؟! وهل هذا حلم وعقل ، او انسانية ورحمة ؟!.

والجواب ان هذا سمو وترفع عن كل ما في هذه الحياة ، سمو عن طبائع البشر وانفعالات الناس ، وعما يشترك فيه انا وانت وغيرنا ، ان هذا من صنع الأمامة والعصمة لا من صنعي وصنعك ، ولا من صنع الذين يخطبون ويوعضون .

لقد عفا محمد عن ابي سفيان وزوجته هند ، وعن وحشي وغيرهم ، عفا عنهم ، لانه مختار من الله لا من الناس ، وعفا علي عن مروان وابن العاص ، لانه امام بارادة السماء لا بانتخاب أهل الارض وفعل زين العابدين ما فعل ، لانه الامام ابن الامام ابو الائمة الاطهار القائمين بحجة الله على جميع خلقه .

فلا بدع اذن ان يحسن الامام زين العابدين لمن اساء اليه ، ولا عجب ان يفعل الامويون ما فعلوا ، وانما العجب ان لا يحسن الامام لمن اساء اليه ، وان لا يسيء الامويون الى من أحسن اليهم والى الناس اجمعين ، وهذا هو جواب الشاعر الذى قال :

وعليك خزي يا امية دائم	يبقى كما في النار دام بقاك
فلقد حملت من الاثام جهالة	ما عنه ضاق لمن وعاك وعاك
هلاصفحت عن الحسين ورهطه	صفح الوصي ابيه عن آباك

وعففت يوم الطف عفة جده ال مبعوث يوم الفتح عن طلقاك
افهل يد سلبت اماءك مثلما سلبت كريمات الحسين يداك
ام هل برزن بفتح مكة حسرا كنسائه يوم الطفوف نساك

حب الله والرسول

قال تعالى : « قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ـ التوبة ٢٣ » .

ان هذه الآية الكريمة نص صريح في صفات عمر بن سعد ، حتى كأنها نزلت فيه بالذات . فلقد دعاه الحسين الى ان يكون معه ، ويدع بن زياد ، فقال ابن سعد : اخاف ان تهدم داري . وهذا مصداق قوله تعالى : « ومساكن ترضونها » :

قال الحسين : انا ابنيها لك .

قال ابن سعد : أخاف ان تؤخذ ضيعتي . وهذا ما دل عليه قوله سبحانه : « وأموال اقترفتموها » .

قال الحسين : انا اخلف عليك خيرا منها .

قال ابن سعد : ان لي بالكوفة عيالا اخاف عليهم ابن زياد . وهذا ما اشار اليه قوله عزوجل : «وابناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم» .

هذا هو مبدأ ابن سعد الذي عليه يموت ويحيا : ضيعته وداره وأهله وعشيرته ، اما الدين والضمير ، اما الله ورسوله فالفاظ يجترها ما دامت تحفظ له الضيعة والدار ، والابناء والاقارب . حارب ابن سعد حسينا بدافع المنفعة الشخصية وحب الدنيا ، وكل من آثر المال والأهل على طاعة الله والرسول فانه على مبدأ ابن سعد ودينه ، وان

بكى على الحسين حتى ابيضت عيناه ، ولعن ابن سعد في اليوم الف مرة ما دام لا يفعل الا بنفس الباعث الذي بعث ابن سعد على قتل الحسين •

قال النبي (ص) : والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه وأهله وولده والناس اجمعين • واذا عطفنا هذا الحديث الشريف على الحديث الذي رواه السنة والشيعة : « حسين مني ، وأنا من حسين » تكون النتيجة الطبيعية ان العبد لا يؤمن حتى يكون الحسين احب اليه من نفسه وابويه وأهله وولده والناس اجمعين •

وقد وجد بين المسلمين من الرجال والنساء من احب النبي (ص) هذا الحب ، وفدوه بالارواح والاولاد ، فلقد فرّ الناس عنه يوم أحد ، وثبت معه الامام علي (ع) وابو دجانة وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت ونسيبة بنت كعب المازنية ، وكانوا يتلقون الضرب والطعن على الرسول كشفها عنه ، وكانت نسيبة تخرج معه في غزواته تداوي الجرحى ، وكان ابنها مع من كان في احد فأراد ان ينهزم ويتراجع ، فقالت له : يا بني اين تفر عن الله والرسول ؟! فردته وحمل عليه رجل فقتله ، فأخذت سيفه ، وقتلت به قاتله ، فقال لها النبي (ص) : بارك الله فيك يا نسيبة ، وكانت تقي الرسول بصدرها وثدييها حتى اصابتها جراحات كثيرة •

وتجمع الناس مع الحسين ، وهو سائر في طريقه الى العراق ، ولما جد الجد تفرقوا عنه ، كما تفرقوا عن جده من قبل ، ولم يبق معه الا صفوة الصفوة من الذين احبوا الله والرسول وآله ، وآثروا

الموت من اجلهم على الاهل والمال ، قال عباس بن ابي شبيب :

يا ابا عبد الله ، أما والله ما امسى على وجه الارض قريب ولا بعيد اعز علي ، ولا احب الي منك ، ولو قدرت على ان ادفع عنك الضيم والقتل بشيء اعز علي من نفسي لفعلت • السلام عليك يا ابا عبدالله ، اشهد اني على هديك وهدي ابيك ، ثم مشى بالسيف الى المعركة •

فرآه رجل من جيش ابن سعد ، وكان قد شاهده في المغازي والحروب ، فنادى بأصحابه : ايها الناس هذا اسد الاسود ، هذا ابن شبيب فلا يبرز اليه احد ، فأخذ شبيب ينادي الا رجل الا رجل ، فتحاماه العسكر ، فنادى ابن سعد ارضخوه بالحجارة ، فرموه بها من كل جانب ، فالقى درعه ومحفره ، وشد عليهم ، فكان يطرد أمامه اكثر من مئتين •

وما اشبه موقف ام وهب في كربلاء بموقف نسيبة في احد ، قالت لابنها وهب : قم يا بني وانصر ابن بنت رسول الله • قال : افعل يا أماه ، ولا أقصر • وحمل على جيش الاعداء ، حتى قتل منهم جماعة ، فرجع الى أمه وامرأته ، وقال : يا أماه أرضيت ؟ فقالت : كلا ، الا ان تقتل بين يدي الحسين • فقالت له امرأته : بالله عليك لا تفجعني في نفسك • فقالت أمه : لا تقبل منها ، ارجع وقاتل ، فيكون رسول الله شفيعا لك يوم القيامة ، فرجع ، وهو يقول :

اني زعيم لك ام وهب بالطعن فيهم تارة والضرب

حسبي الهي من عليم حسبي

ولم يزل حتى قتل تسعة عشر فارسا ، واثنى عشر رجلا ، ثم قطعت يداه ، فاخذت أمه عمودا ، واقبلت نحوه ، وهي تقول : فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم الرسول ، وأراد ان يردها الى النساء ، فأخذت بجانب ثوبه ، وقالت : لن أعود حتى اموت معك • فقال لها الحسين : ارجعي ، جزيتم من أهل بيت خيراً ، فرجعت •

وقاتل وهب حتى قتل ، فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه ، فبصر بها شمر ، فأمر غلاماً له ، فضربها بعمود كان معه على رأسها ، فشجها وقتلها ، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين (ع) •

وكان غلام مع أمه في كربلاء قتل أبوه في المعركة ، فقالت له أمه : اخرج يا بني وقاتل بين يدي الحسين ، فخرج ، ولما رآه الحسين ، قال : هذا شاب قتل أبوه ، ولعل أمه تكره خروجه • فقال الغلام : امي امرتني بذلك فبرز وهو يقول :

اميري حسين ونعم الامير   سرور فواد البشير النذير
علي وفاطمة والداه   فهل تعلمون له من نظير

وقاتل حتى قتل • فأخذت أمه رأسه ، وقالت : أحسنت يا بني ، يا سرور قلبي ، ويا قرة عيني •

أرأيت الى هذه !•• أم لا ترضى عن ولدها ، وأعز من كبدها الا ان تراه مضرجاً بدمائه جثة بلا رأس !•• ولا عجب انه حب لله ورسوله وعترته ، وليس كمثل الله رسوله وعترته شيء ، فكذلك حبهم عند المؤمنين حقاً لا يعادله له شيء ، حتى الارواح والابناء •

بهذا الحب ، بهذا الاخلاص لاهل البيت ، بهذه التضحية ، بهذه

الروح وحدها يستعد المؤمنون الخلص لما بعد الموت ، بهذا الزهد في العاجل يقفون غداً مرفوعي الرؤوس أمام جبار السموات والارض •

لقد ترك أصحاب الحسين الدنيا وما فيها لله وفي الله ، وضحوا بالارواح والازواج والابناء والاموال في حب الحسين ، ومـودة القربى ، واعلاء كلمة الحق ، فكانوا مع الحسين وجده في الآخرة ، كما كانوا معه في الدنيا ، وحسن اولئك رفيقاً • قال الامام الباقر (ع): اذا أردت ان تعلم ان فيك خيرا ، فانظر الى قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ، ويبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل معصيته فليس فيك خير ، والله يبغضك والمرء مع من احب

عجباً لقلبي وهـو يألف حبـكم
لم لا يـذوب بحرقـة الارزاء
وعجبت من عيني وقد نظرت الى
ماء الفرات فلم تسل في الماء

عـــداء في الله

وما كل جد في الرجال محمد ولا كل ام في النساء بتول

أجل ، ولا كل أب كعلي ، ولا كل أخ كالحسن ، ولا كل اخت كزينب ، ولا كل ابن كزين العابدين ، ولا كل اصحـــاب كحبيب وزهير وبرير ، ولا كل شهيد كالحسين ، ويقف يزيد في الموقف المعاكس المناقض في نســبه واخلاقه وأصحـابه ، فلا سـكير وشرير كيزيد ، ولا احد اخبث من أبيه معاوية ، ولا عدو لله ورسله اعدى من جده ابي سفيان ، ولا آكلة لاكباد الشهداء ، كجدتـه هند ، ولا اصحاب اكثر لؤماً وجرماً من ابن زياد وشمر وابن سعد.

قال الامام الصادق : نحن وآل ابي سفيان تعادينا في الله ، قلنا : صدق الله ، وقالوا : كذب الله . فالعداء ، اذن ، بين الصدق والكذب، وبين الكفر الذي يتمثل بالامويين ، وبين الايمان الذي يتجسم بأهل البيت ، وقد حـاول معـاوية ان يجمـع الحق والباطـل ، ويجري المصالحة بين الرحمن والشيطان ، فكتب الى مروان بن الحكم ، وكان على المدينة ، ان يخطب بنت زينب بنت امير المؤمنين ، وابوها عبدالله بن جعفر ، ان يخطبها لابنه يزيد ، فكلم مروان أباها عبدالله ، فقال له : ان أمرها الى سيدنا الحسين خالها ، فذهب مروان الى الحسين ، وقال له ؟ ان معاوية امرني ان اجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، مع قضاء دينه ، وصلح ما بين هذين الحيين ، وان من يغبطكم بيزيد اكثر ممن يغبطه بكم ، والعجب كيف يستمهر يزيد ، وهو كفؤ من لا كفؤ له ، وبوجهه يستسقى الغمام !..

فقال الحسين : الحمد لله الذي اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه ، اما قولك يا مروان مهرها حكم ابيها ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه ، وهو اربعمئة وثمانون درهماً ، وأما قولك عن قضاء دين ابيها فمتى كان نساؤنا

يقضين عنا الديون ؟! واما صلح ما بين الحيين فنحن عاديناكم في الله ، فلا نصالحكم للدنيا ، واما قولك كيف يستمهر يزيد فقد استمهر[1] النبي (ص) ، وأما قولك يزيد كفؤ من لا كفؤ فمن كان كفؤه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ما زادته امارته في الكفاءة شيئاً ، اما قولك بوجهه يستسقى الغمام فانما ذاك وجه رسول الله ، واما قولك من يغبطنا به اكثر ممن يغبطه بنا فانما يغبطنا به اهل الجهل ، ويغبطه بنا اهل العقل ثم اشهد الحسين من حضر على انه زوج ابنة شقيقته ، وكانت تدعى ام كلثوم ، من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن طالب

أراد يزيد ابن آكلة الاكباد الزواج من بنت العقيلة زينب بنت علي وفاطمة ، وخيل لابيه معاوية ، وهو صاحب العرش والتاج ان بمقدوره الجمع بين الفجور والقداسة ، بين الشجرة الملعونة في القرآن ، ومن اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ، ولكن الحسين القى عليه درساً من اهم الدروس وابلغها ، وافهمه انه ، وان امتد سلطانه ، وكثر ماله فهو اذل من ذليل ، واخس من خسيس ،

---

(١) استمهر ، اي دفع المهر .
وجعل المهر اربعمئة وثمانين درهماً ، ونحلها ضيعة له ، وكانت غلتها ثمانية آلاف دينار .

واحقر من ان يكون كفؤاً للطيبين الابرار ، افهمه انهـــم اهل بيت لا يتزوجون ولا يزوجون زواجاً تجارياً ، وان الخصومة بين البيتين ليست على الجاه والسلطان ، ولا على المـال والحطـام ، وانما هي خصومة في الله ، وبين من كذّب الله وصدقه .

وهذا هو السبب الاول والاخير الذي باعد بين العترة الطاهرة وامية الفاجرة ، وهذا هو التفسير الصحيح لمذبحة كربلاء . ومـــن الخطأ ان يعد من اسباب هذه الكارثة رد يزيد حين أراد الزواج من بنت العقيلة ، ومنعه من الوصول الى زينب زوجة عبدالله بن سلام ، كلا ، لا سبب الا العداء في الله ، ان أهل البيت لا يحبون ولا يبغضون الا في الله ، فاذا زوجوا ، أو تزوجوا ، او رفضوا فعلى هذا الاساس وحده ، فهو مبدأهم وهدفهم وشعارهم .

لم يطلبوك بثار أنت صاحبه ثار لعمرك لولا لم يثر

هــذا كتاب الله

نكث طلحة والزبير بيعة الامام علي (ع) ، وتحالفا مع عائشه على حربه ، وجمعوا عليه الجموع يوم الجمل ، ونكلوا بعامله ابن حنيف ، وقتلوا كثيراً من الصالحين الآمنين ، وحين قابلوه وجهاً لوجه ، وشرعوا عليه السيوف والرماح دعا امير المؤمنين بمصحف ، وقال من ياخذه ويدعوهم الى ما فيه ، فيحيون ما احياه ، ويميتون ما امات • فقام فتى ، اسمه مسلم المجاشعي ، وقال : يا امير المؤمنين انا آخذه وادعوهم الى ما فيه •

فقال له الامام : انك ان فعلت ذلك لمقتول • فقال الفتى : والله يا امير المؤمنين ما من شيء احب الي من الشهادة بين يديك ، فاخذ المصحف وتوجه الى عسكرهم ، فنظر اليه امير المؤمنين ، وقال : ان الفتى ممن حشى الله قلبه نورا وايمانا ، وهو مقتول ، وقد اشفقت عليه من ذلك ، ولن يفلح القوم بعد قتلهم اياه ، فمضى الفتى بالمصحف حتى وقف بازاء عسكر عائشة ، وكان له صوت ، فنادى معشر الناس هذا كتاب الله وان امير المؤمنين علي بن طالب يدعوكم الى الحكم بما انزل الله فيه ، فانيبوا الى طاعة الله ، والعمل بكتابه ، وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون فامسكوا عن الجواب ، وبادر اصحاب الجمل الى الفتى ، والمصحف في يمينه فقطعوا يده اليمنى ، فتناول المصحف بيده اليسرى ، وناداهم باعلى صوته مثل ندائه الاول ، فقطعوا يده اليسرى ، فاحتضن المصحف ، ودماؤه تجري عليه ، وناداهم الى العمل به ، فقتلوه ، قطعوه اربا اربا ، فقال الامام والله ما كنت في شك ولا لبس من ضلالة القوم وباطلهم ، ولكن احببت ان يتبين لكم ذلك •

احب الامام ان يبين للناس وللاجيال انه ومن اتبعه علـــى حق وهداية ، وان من حاربه وعانده على باطل وضلالة ، أراد ان يقيم الدليل المحسوس الملموس على انه امام العدل والرحمة ، وخصومـه أئمة الظلم والجور « ليهلك من هلك عن بينة ويحى مـــن حي عن بينـــة » .

وهكذا فعل ولده الحسين يوم الطف ، فما ان كانت صبيحـة اليوم العاشر من المحرم حتى لبس عمامة جده رسول الله ورداءه ، وتقلد سيف جده ، وركب ناقته او فرسه المعروفة ، ووضع المصحف امامه ، واتجه الى الذين تجمعوا على قتله ، وشرعوا السيوف والرماح في وجهه ، ورفع يديه الى السماء ، وقال على مسمع من الجميع :

اللهم انت ثقتي في كل كرب ، وأنت رجائي في كل شـــدة ، وانت لي في كل امر نزل بي ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيـــه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو انزلته بك ، وشكوته اليك رغبة مني اليك عمن ســواك ففرجته عني وكشفته وكفيته ؟! فانت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبـــة .

وبعد ان ناجى ربه بهذه الدموع الحزينة والقلب النقي التفت الى جموع الضلال ، وقال :

اما بعد ، فانسبوني وانظروا من أنا ، ثم ارجعوا الى انفســـكم وعاتبوها ، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟! الست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه ، واول المؤمنين المصدق لرسول الله (ص) بما جاء به من عند ربـــه ؟! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم

ابي ؟! او ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي ؟! او لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولاخي : هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟! فـأن صدقتموني بما اقول ،وهو الحق ، والله ما تعمدت كذبا منذ علمت ان الله يمقت عليه اهله ، وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم ، سلو جابر بن عبدالله الانصارى ، وابا سعيد الخدري وسهيل بن سعد الساعدي وزيد بن ارقم وانس ابن مالك يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولاخي ، اما في هذا زاجر لكم عن سفك دمي ... وان كنتم في شك من هذا ، افتشكون اني ابن بنت نبيكم ، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ، ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، او مال استهلكته او بقصاص جراحة ؟!..

لم يرد الحسين بهذه المظاهرة التي اهتزت لها الارض والسماء ، واغضبت الله في عرشه ، وابـكت محمـدا في قبره ان يستعطف ويسترحم ، كلا ، انه اجل وأعظم من ان يطلب العطف من اللئـام والطغام ، هذا ، الى انه اعلم الناس بما هم عليه من القساوة والفظاظة لقد أراد الحسين أن يثبت للعالم ان لا هدف لاعدائه وخصومه الا التشفي والانتقام من الاسلام ونبي الاسلام ، أراد كما أراد ابوه من قبل ان يبين للاجيال ان الولاء لاهل البيت ولاء لله وللرسول ، وان حربهم حرب لله وللرسول .

وقد أدرك شيعة أهل البيت هذه الحقيقة ، فاتخذوها شعارا لهم ولعقيدتهم . وأعلنوها في كل موطن وموقف تقربا الى الله ورسولـه وعترته الاطهار .

يوم الطف يوم الفصل

ان يوم الطف يشبه يوم القيامة من جهات :

١ ـ قال الله سبحانه : « وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم » •

وعد الشيطان اتباعه بالفوز والنجاة ، وحذرهم الله منه ، فعصوا الرحمن ، واتبعوا الشيطان ، ولما جاء يوم الفصل انكرهم ، وتبرأ منهم ، وقال : اني اخاف الله رب العالمين •

ووعد عبيدالله بن زياد عمر بن سعد بولاية الري اذا قاتل الحسين ، وكان يتطلع اليها ، ويطمع فيها ، فقبل وقاد الجيوش ، وحذره سيد الشهداء من العاقبة ، وقال له : يا ابن سعد أتقاتلني ؟! آما تتقي الله الذي اليه معادك ؟! فانا ابن من علمت الا تكون معي ، وتدع هؤلاء فانه اقرب الله تعالى ؟!

ولما آيس منه الحسين قال : مالك ذبحك الله على فراشك عاجلا ولا غفر لك يوم الحشر ، فوالله اني لارجو ان لا تأكل من بر العراق الا يسيرا • قال ابن سعد مستهزءا : في الشعير كفاية •

واخلف ابن زياد بوعده لابن سعد ، كما اخلف الشيطان مع اتباعه ، وصدق الحسين ، فلم تمض الايام حتى قتل عمر وابنه حفص على يد المختار •

٢ ـ قال تعالى في صفة اهل النار : « ونحشرهم يوم القيامة

على وجوههم عميا وبكما وصما » . وهذه بالذات صفات الذين حاربوا الحسين في كربلاء ، فقد وعظهم وحـذرهم ، وذكرهم بكتاب الله وآياته ، ولكنهم صموا عن النبأ العظيم كما عموا :

وذكرت ما فجر الصخور فلم يكن الا قلوبهم هنـاك صخـور

٣ ـ قال تعالى : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم » . ينـادي المنادي يوم القيامة : اين أهل الحق الذين اتبعوا المصلحين ؟ فتأتي بهم الملائكة يزفون الى الجنة . ثم يقال : هاتوا متبعي رؤوس الضلالة فتسوقهم الزبانية الى جهنم . وقاد ابن سعد اهل الكوفة الى غضب الله ونقمته ، وقاد الحسين اصحابه الى رضوان الله ورحمته .

جاء الحديث عن النبي (ص) انه اذا كان يوم القيامـة اقول لامتي : كيف خلفتموني في الثقلين ؟ فيقولون : اما الاكبر فعصيناه ، واما الاصغر فقتلناه . فأقول : اسلكوا طريق قادتكم ، فينصرفون ضمآ مسودة وجوههم .

٤ ـ قال تعالى : « وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » . وانقسم الناس في كربلاء فريقين : فريقا مـع الحسين ، وفريقا مع ابن سعد ، وبرز كل انسان على حقيقته ، واخذ المكان الذي يستحقه ، فلم يختلط الطالح مع الصالحين ، ولا الصالح مع المجرمين ، تماما كما هو الشأن في يوم القيامة ، حيث لا رياء ولا نفاق ومساومات .

وقد اختلط في بدء الامر ، وقبـل المعركة الطيب بالخبيثين ، والخبيث بالطيبين ، فكان مع ابن سعد الحر الرياحي ، وابو الشعثـاء الكندي ، وحين جد الجد ، وجاء دور الغربلة والتصفية عـدلا الى

الحسين ، واستشهدا بين يديه . وبايع الحسين قوم على الموت ، وكاتبوه ، ثم نكثوا ، وعادوا الى طبيعتهم . وهكذا لم يبق مع ابن سعد الا من كان على شاكلته لؤماً وخساسة يوردهم النار ، وبئس الورد المورود ، ولم يبق مع الحسين الا صفوة الصفوة يسير بهم الى الجنة حتى اذا جاؤها قال لهم خزنتها سلام عليكم فنعم عقبى الدار .

ومن تتبع سيرة اصحاب الحسين لا يجد لاخلاصهم وعزمهم نظيرا بين الشهداء ، واتباع الانبياء ، كما لا يجد شبها لتضحيات الحسين في التاريخ كله . وقد اثنى عليهم الشعراء بما هم اهل لاكثر منه . قال الشيخ حسن البحراني يصف ايمانهم وورعهم :

ان ينطقوا ذكروا او يسكتوا فكروا
او يغضبوا غفروا او يقطعوا وصلوا
او يظلموا صفحوا او يوزنوا رجحوا
او يسألوا سمحوا او يحكموا عدلوا

وقال السيد مهدي الحلي في شجاعتهم :

من تحتهم لو تزول الارض لانتصبوا
على الهوى هضبا ارسى من الهضب

وتكفيهم شهادة الحسين عن كل مدح وثناء ، قال : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم الا الاشوس الاقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب امه .

روي ان الحسين كان في يوم الطف كلما اشتد الامر اشرق وجهه ، وهدأت جوارحه ، وسكنت نفسه ، حتى قال الناس بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ! وكيف يبالي بالموت ، وهو ابن القائل : والله ما يبالي ابن ابي طالب أوقع على الموت ، او وقع الموت عليه . وهكذا كان اصحاب الحسين لا يبالون بالموت ، بل يستبشرون

به حيث يعلمون انهم على حق ، وغيرهم على باطل ، فهم على يقين انهم سيقفون بين يدي الله مرفوعي الرؤوس ، موفوري الكرامة .

قال برير بن خضير الهمداني ، لعبدالرحمن الانصاري : ولكني لمستبشر بما نحن لاقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل علينا هؤلاء باسيافهم ، ووددت انهم مالوا علينا الساعة .

هذه صورة صادقة ناطقة بحقيقة الاصحاب جميعا ، وانهم عند ثقة الأمام وقوله : يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب امه . لقد رخصت عندهم الارواح ، ولم يكترثوا بالمال والعيال ، ما داموا مع النبي وآله .

وقال الحر الرياحي : اني اخير نفسي بين الجنة والنار ، فوالله لا اختار على الجنة شيئا ، ولو قطعت وحرقت . ايقن الحر ان الجنة مع الحسين ، وان ثمنها القتل ، وان الحياة « قليلا » مع ابن سعد ، ثم يعقبها العذاب الدائم ، فاختار الموت مع الحق على الحياة مع الباطل ، وكان مثالا صادقا لقول الامام : « لا ارى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا ندما » .

وتقدم جون مولى ابي ذر[1] يطلب من الامام الاذن بالبراز

---

(١) جون عبد اشتراه الامام علي بن طالب ، ووهبه للصحابي الجليل ابي ذر ، يعينه على متاعب الحياة ، وبعد وفاة ابي ذر انتقل جون الى بيت الامام علي ، وبعد وفاة الامام انتقل الى بيت الحسن ، وبعده الى بيت الحسين ، وحين خرج الى العراق صحبه معه . وهكذا نشأ جون في اطهر البيوت واقدسها ، وكانت له هذه الخاتمة الطيبة . جون عبد رق يباع ويشرى كالسلع والحيوانات ، ويزيد عربي قرشي يأمر وينهي ، وتخضع له رقاب المسلمين !... فيا للغبن وسخرية الاوضاع !... ورحم الله ابا العلاء القائل :

اليس قريشكم قتلت حسينا ... وصار على خلافتكم يزيد

فقال له الامام : اذهب لشأنك ، انما طلبتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا ، فصعق جون من هذا الجواب ، وقال : يا ابن رسول الله انافي الرخاء ألحس قصاعكم ، وفي الشدة اخذلكم ! والله ان ريحي لمنتن ، وان حسبي للايم ، وان لوني لاسود ، فتنفس علي بالجنة ، فيطيب ريحي ، ويشرف حسبي ، ويبيض وجهي ، لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود بدمائكم .

أي والله ان الجنة في انفاس الحسين ، وفي التراب الذي اريق عليه دم الحسين ، وان بياض الوجه عند الله في الاستشهاد بين يدي الحسين ، وان الدم الحسيب النسيب هو الذي يختلط بدماء الحسين .

لقد امتاز شهداء الطف بامور : « منها » ان ضمتهم والحسين تربة واحدة ، ومقام واحد ، حتى اصبحت قبورهم مزارا لجميع زوار الحسين . و «منها» انهم ذهبوا الى الله والرسول في وفـد يرئسه الحسين . و «منها» اختلاط دمائهم بدماء الحسين ، وارتفاع رؤوسهم مع رأسه على الرماح ، ووطء اجسامهم مع جسمه .

سل كربلا كم حوت منهم بدور دجى
كأنهـا فلك للانجم الزهـر

ويذكرنا موقف جون في كربلاء بموقف عمرو بن الجموع في احد ، كان عمرو من اصحاب الرسول ، وكان رجلا اعرج ، ولـه بنون اربعة يشهدون المشاهد مع النبي ، ويوم احد خرج اولاده مع الرسول ، فأراد هو الخروج ايضا فحاول قومه ان يحبسوه ، وقالوا له : انت رجل اعرج ، ولا حرج عليك ، وقد ذهب بنوك مع النبي ، وماذا تبغي بعد هذا ؟!

فقال : يذهب اولادي الى الجنة ، واجلس انا عندكم ثم اخذ درقته ، وذهب وهو يقول : اللهم لا تردني الى اهلي ، فخرج ولحقه بعض قومه ، يكلمونه في القعود ، فابى وجاء الى النبي ، وقال له : يا رسول الله ان قومي يريدون ان يحبسوني عن هذه المكرمة والخروج معك ، والله اني ارجو أن اطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال له : اما انت ، فقد عذرك الله ، ولا جهاد عليك ، فابى فقال النبي لقومه وبنيه : لا عليكم ان تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة فخلوا سبيله فاستشهد رضوان الله عليه .

يوم الفتــح

قال الامام الصادق : ان الحسين لما فصل متوجها الى العراق آمر بقرطاس ، وكتب بسم الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى بني هاشم ، اما بعد فانه من لحق بي استشهد ، ومن تخلف لم يبلــغ الفتح ، والسلام •

ولم يرد الامام بالفتح فتح البلاد والممالك ، وانما أراد ظهــور أمر الله ، وانتصار كلمة الاسلام ، وقد كان الامام على يقين من هذا الانتصار ، ولذا قال : ومن تخلف لم يدرك الفتــح ، اي لم ينـل شرف الجهاد في سبيل الدين • حاربت امية صاحب الدعوة ، وهي على الشرك ظاهرا وباطنا ، ولمــا جاء نصــر الله والفتح استسلمت ، واظهرت الاسلام ، وابطنت الكفر ، ولما انتقل النبي الى ربه عــادت الى محاربة الاسلام ، ولكن عن طريق الكيد والتآمر ، كمــا تـدل حكاية ابي سفيان مع الامام حين بويع ابو بكر بالخلافة ، حيث قال ابو سفيان لعلي : « ما بال هذا الامر في اذل قبيلة مــن قريش ، ولو شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا » فرده الامام وافهمه انه منــافق يغش الاسلام ، ويكيد للمسلمين •

ظن ابو سفيان ان الفرصة قــد سنحت لبلوغ مآربــه بموت الرسول ، والنزاع على الخلافة ، وما درى ان عليــاً حامي حمى الاسلام له بالمرصاد ، كما كان له في بدر واحد والاحزاب ، وتمضي الايام ، ويصبح ابن ابي سفيان ملكا على المسلمين ، فحاول ان يؤسس للكفر والالحاد ، ويجعل الملك في نسل الشرك الى اخر يوم ، ولكن الحسين له بالمرصاد كما كان علي لابيه من قبل •

رأينا الاستعمار اذا ثارت عليه الشعوب المستضعفة ، وأرادت التحرر من نيره واستغلاله يختار من أهل البلاد خائنا كيزيد ، وينصبه حاكما على الشعب ، ويمنحه اسم الاستقلال ، فيكون للخائن الاسم ، وللاستعمار الحكم ، وتبقى الاوضاع كما كانت ، او اسوأ حيث صبغت بالصبغة الشرعية ، كما فعلت فرنسا بسورية ولبنان ، والانكليز في مصر أيام فاروق ، وفي العراق أيام نوري سعيد ، يقول الشاعر العراقي مخاطبا حاكم العراق في عهد الانكليز :

فانت للحكم اسم   والانكليز المسمى

وهذا ما أراد معاوية تطبيقه بالذات من خلافة ولده يزيد ، واستمرار الملك في نسل ابي سفيان ، أراد ان يكون الاسم للاسلام في الظاهر ، والحكم للشرك والالحاد في الواقع . وسلك كل سبيل لتحقيق هذه الغاية ، فمن دس السم بالعسل الى القتل بالسيف ، ومن دفن الاحياء الى سب الاموات الى ما لا نهاية لجرائمه وموبقاته .

وما كانت لتخفى هذه الحقيقة على الحسين ، وما كان ابن علي ليبخل بدمه على دين جده ، كيف وهو القائل : « لا ارى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا ندما » رأى الحسين ان الامويين يخدعون الناس باسم الاسلام ، كما يخدع عميل الاستعمار الشعب باسم الاستقلال ، فأراد الأمام ان يفضحهم ، ويثبت للملأ انهم اعدى اعداء الاسلام ، فنهض باسم الدين ، وحقوق المسلمين يمثل شعور كل مسلم لا يستطيع الجهر بما ينوي ويضمر ، نهض وهو اعزل الا من الحق ، وجابه الباطل صاحب العدة والعدد ، ودعى الى كتاب الله ، وسنة الرسول ، فقتله الامويون ، وذبحوا اطفال الرسول وسبوا

نساءه ، لا لشيء الا لأنهم دعاة للدين والحق ، فعرف الناس بعد وقعة الطف ان الامويين ما زالوا مشركين ، كما كانوا يوم بدر واحد والاحزاب ، وانهم لم يؤمنوا بالله ورسوله طرفة عين ، وانهم يضمرون للاسلام كل شر وعناد ، وقد صور الشاعر هذه الحقيقة بقوله يصف يزيد بن معاوية :

لان جرت لفظة التوحيد في فمه   فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا
قداصبح الدين منه يشتكي سقما   وما الى احد غير الحسين شكا

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا
الا اذا دمه في كربلا سفكا

* * *

ياويح دهر جنى بالطف بين بني   محمد وبني سفيان معتركا
حاشا بني فاطم ما القوم كفؤهم   شجاعة لا ولا وجود او لانسكا
ما ينقم الناس منهم غير انهم   ينهون ان تعبد الاوثان والشركا

وكان لفاجعة كربلاء دوي هائل اهتزت له الدنيا بكاملها ، حتى كأن النبي نفسه هو المقتول . وقامت الثورات في كل مكان يتلو بعضها بعضا ، حتى زالت دولة الامويين من الوجود ، وتمت كلمة الله بالقضاء على الشرك المستتر باسم الاسلام ، وهذا ما عناه الحسين بقوله لبني هاشم : « ومن تخلف لم يدرك الفتح » .

واذا اردت مثالا يوضح هذه الحقيقة فانظر الى المظاهرات التي تقوم بها الشعوب ضد الحاكم الخائن ، فان المتظاهرين يعلمون علم اليقين انه سيطلق عليهم النار ، وان القتلى ستقع منهم بالعشرات ، ومع ذلك يقدمون ولا يكترثون بالموت ، لان غايتهم ان يفتضح هذا الخائن

وان يعرف العالم مقاصده ونواياه ، فينهار حكمه ويبيد سلطانه ، وتكون الدماء البريئة ثمنا لتحرر البلاد من العبودية والاستغلال •

ومن هنا كان لاصحابها هذا التقديس والتعظيم ، تقام لهم التماثيل في كل مكان ، وتسمى باسمائهم فرق الجيش والشوارع ، وتشاد الاندية والمعاهد ، ويرتفع شأن اسرهم الى اعلى مكان ، ومن قبل لم يكونوا شيئا مذكورا •

ودماء كربلاء لم تكن ثمنا لحرية فرد او شعب او جيل ، بل ثمنا للدين الحنيف ، والانسانية جمعاء ، ثمنا لكتاب الله وسنة الرسول ومن هنا كان لها ما للقرآن والاسلام من التقديس والاجلال ، كما ان لدماء الاحرار ما لاوطانهم من التكريم والتعظيم ، وكان لبني هاشم اسرة الحسين ما كان لاسر الشهداء الاحرار • وهذا ما عناه الحسين بقوله يوم الطف مخاطبا أهله وارحامه : صبرا يا بني عمومتي صبرا يا أهل بيتي ، لا رأيتم هوانا بعد اليوم •

وسئل الامام زين العابدين : من كان الغالب يوم كربلاء ؟ فقال اسمع المؤذن تعرف الجواب • اشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن علياً أمير المؤمنين بالحق ولي الله •

اوصى الحسين أهل بيته بالصبر بعدما استشهد جميع اصحابه ، ولم يبق معه الا ولده وولد علي وولد جعفر وولد عقيل وولد الحسن ، وقد اجتمعوا يودع بعضهم بعضا ، وهم كالزهر في مقتبل العمر •

كرام بارض الغاضرية عرسوا فطابت بهم ارجاء تلك المنازل
اقاموا بها كالمزن فاخضر عودها واعشب من اكنافها كل ما حل

زهت ارضها من بشر كل شمردل   طويل نجاد السيف حلو الشمائل
كأن لعزرائيل قــد قال سيفه   لك السلم موفورا ويوم الكفاح لي
حموا بالظبي دين النبي وطاعنوا   نباتا وخاضت جردهم بالجحافل
ولما دنت آجالهم رحبوا بهــا   كأن لهم بالموت بلغــة آمـــل
فماتوا وهم ازكى الانام نقيبة   واكرم من يبـكى له بالمحافل
عطاشى بجنب النهر والماء حولهم   يباح الى الوارد عذب المنـاهل
فلم تفجع الايام من قبل يومهم   باكـرم مقتـول لالئم قـاتل

بدر والطف

كان اصحاب الرسول (ص) في بدر ثلاثمئه وبضعة عشر رجلا وكان المشركون الف رجل •

وكان اصحاب الحسين (ع) في كربلاء ثلاثة وسبعين ، وجيش العدو ثلاثين الفا او يزيدون •

وقال النبي لقريش يوم بدر : خلوني والعرب ، فان أك صادقا كنتم اعلى بي عينا ، وان اك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمري ، فارجعوا • فأبوا عليه الا القتال •

وقال الحسين لجيش ابن زياد : كتبتم الي ان قد اينعت الثمار واخضر الجناب ، وانما تقدم على جنود مجندة ، فاقبل • فان كنتم كرهتموني ، فدعوني انصرف عنكم الى مأمني من الارض • فأبوا عليه ، كما ابى المشركون على جده من قبل •

وقال النبي لاصحابه يوم بدر : قوموا الى جنة عرضها السموات والارض •

وقال الحسين لاصحابه : قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لابد منه ، وقال الامام الصادق (ع) : لقد كشف الله الغطاء لاصحاب الحسين حتى رأوا منازلهم في الجنة •

وكان اصحاب الرسول يوم بدر يتسابقون الى الموت ليصلوا الى اماكنهم في الجنة ، حتى ان عمر بن الحمام لما سمع النبي يقول : قوموا الى الجنة كان يأكل تمرات في يده فرماها ، وقال : لان حييت

حتى آكلهن انها لحياة طويلة ..

وهكذا كان الرجل مـن أصحاب الحسين يستقبل الرمـاح والسيوف بصدره ووجهه ، ليصل الى مكانه في الجنة .

وقال المقـداد بن الاسود للنبي يوم بدر : والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك ، والله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن نقول : امض لامر ربك فانا معك مقاتلون .

وقال الحسين لاصحابه : ان القوم انما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا اليكم ، وانتم في حل وسعة فقالوا : والله لا يكون هـذا أبدا . فقال : انكم تقتلون غدا كلكم ، ولا يفلت منكم رجل . قالوا : الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك .

وقال ابو جهل يوم بدر : اللهم ان محمدا اقطعنا للرحم ، واتانا بما لا نعرف ، فانصرنا عليه .

وقال يزيد : لعلي بن الحسين : أبوك قطع رحمي ، وجهـل حقي ، ونازعني سلطاني ، ففعل الله به ما رأيت .

وقال يزيد فيما قاله للامام زين العابدين : الحمد لله الذي قتل أباك . فقال له الامام : لعنة الله على من قتل ابي .

وانتشر الاسلام بعد غزوة بدر ، وتحرر الضعفاء من سيطرة الاقوياء .

وولد بكربلاء مبدأ جديد ، هو الايمان بان الموت في سبيل الحق خير من الحياة مع المبطلين ، وقضى هذا المبدأ على الامويين وسلطانهم

الجائر ، ولقد اثبتت التجارب بان ايمان الانسان بحقه ، وحرصه على حريته ، وحفاظه على رزقه اقوى من كل سلاح وعتاد ، فلقد تغلبت افريقيا الجائعة العزلاء ، وغيرها من الشعوب المستضعفة على المستبدين الاقوياء ، تغلبت بقوة الايمان بان الانسان يجب ان يعيش حرا كريما ، وهذا هو مبدأ الحسين الذى ضحى من أجله بنفسه وأهلـه .

ولا شيء أدل على قوة الصلة والشبه بين بدر وكربلاء من انشاد يزيد ، وهو ينكث ثنايا الحسين بقضيبه :

ليت اشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحا	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم انتقم	من بني احمد ما كان فعل

كلا ، لم ينتقم يزيد من بني احمد ، وانما انتقم الله منه ومن بني امية لبني احمد وللانسانية جمعاء ، انه لم يقتل مبدأ الحسين ، وانما قتل نفسه ، وقضى على سلطانه ، كما قالت السيدة زينب فيما قالت ليزيد بعدما سمعته يهتف باشياخه :

تهتف باشياخك !.. زعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ، ولتوردن انك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت . اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا ، فوالله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك .

انه ابن علي

لو حدثك محدث ان رجلا بذلت له الملايين على ان ينطق بكلمة باطل لا يسأله عنها سائل ، ولا يؤاخذه عليها مؤاخذ في هذه الحياة ، فابى وامتنع لا لشيء الا لان شفتيه تتنزه عن التفوه بالباطل ، او قال لك ان الملك قد أتاه لقمة سائغة بلا معارض ولا منازع على ان يقطع على نفسه وعدا بان يسير على طريق من مضى من الملوك والحكام ، فابى وامتنع لا لشيء الا لانه لا يريد ان يكون مقلدا لغيره ، ولا ان يعد ويخلف ، فذهب الملك الى غيره ، فلم يهتم ولم يكترث ، حتى كأنه نواة يلفظها من فمه ، او حصاة تسقط من يده ، او اخبرك مخبر ان عدوا قصد هذا الرجل للقضاء على حياته ، ولما برز له وجها لوجه وتمكن من عدوه ، واصبح في قبضة يده ، ورأى هذا العدو الموت نصب عينيه طلب منه العفو والصفح ، فعفا وصفح لا لشيء الا رغبة في العفو والصفح ، وهو يعلم علم اليقين انه لو قتله لباء المقتول بالاثم وكان للقاتل الفضل والعذر عند الله والناس .

لو حدثك بهذا او بعضا منه انسان ، اى انسان لقلت :ان محدثك لا يدري ما يقول ، وانه يتوهم ويتكلم ، ذلك لانا قد اعتدنا ان نرى الناس يكذبون ويراؤن ، ويمرغون الجباه بتراب الاقدام من أجل الدرهم والدينار ، وألفنا ان نقرأ ونسمع العهود والمواثيق في بيانات الحكام ، وكلها عكس ما يؤمنون به ويدينون ، وضد ما ينوون ويعملون ، ورأينا كيف ينتقم الظافرون من خصومهم ؟ وكيف يخيرونهم بين الموت والعبودية ؟ حتى ولو كانت الخصومة في الرأي والاجتهاد . لذلك وغير ذلك تستبعد هذا النوع من الحديث ، لانك

تأخذ بمبدأ قياس بعض الناس على بعض •

ولكن هذا ما حصل بالفعل ، وشهد به القريب والبعيد ، اقرأ تاريخ الامام علي بن طالب ، لتلمس هذه الحقيقة ، وتؤمن بها ايمانك بوجودك ، فقد بايعه عبدالرحمن بن عوف على ان يعمل بـكتاب الله وسنة الرسول وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر ، فقال له علي : اعمل بكتاب الله وسنة الرسول ، وارجو ان افعل على مبلغ علمي وطاقتي ، فبايع عبدالرحمن عثمان ، ولو قال الامام نعم لتمت له الخلافة بدون معارض ، ولكنه ابى ان يكون مقلدا ، أو ان يعد ويخلف • وفي يوم احد برز الى طلحة بن ابي طلحة ، وكان كبش الكتيبة فصرعه الامام بضربة ، ولما أراد ان يجهز عليه بالثانية ، قال له طلحة : انشدك الله يابن عم والرحم ، فانصرف عنه ، فقال لـه المسلمون : الا اجهزت عليه ؟ فقال ناشدني الله والرحم ، وترك ابن العاص بعد ان اصبحت حياته في يده ، ولو قتله لدب الذعر في جيش معاوية ، وتمزق شـر ممزق ، وعفا يوم الجمل عن مروان بن الحكم ، وهو الد الخصوم واخطرهم ، وسقى أهل الشام الماء بعد ان منعوه منه[1] •

وقال قائل جاهل : ان الامام لا يعرف السياسة ، لانه لو منـع الماء عن أهل الشام ، او قتل مروان وابن العاص لضمن النصر بأيسر

---

(١) فكرت مليا في صفح الامام ، وبقيت الليالي والايام ابحث عن تفسير تركن اليه نفسي ، فلم اجد وجها الا انـه مخلوق مستقل قائم بنفسه ، لا يشبه احدا ، ولا يشبهه احد من الناس لا في الماضي ولا في الحاضر والمستقبل ، فهو بطبعه ومزاجه يصفح عن قاتله وقاتل اولاده دون أيّ تكلف ، كما يصفح عمن يسيء اليه بكلمة صغيرة نابية سواء بسواء ، ولا ادل على ذلك من وصيته بقاتله ابن ملجم ، وقوله : وان تعفو : اقرب الى التقوى •

الاسباب ، ويصح هذا القول في حق الذين تسيرهم منافعهم الشخصية ويستبيحون كل شيء في سبيلها ، اما في حق الامام الذى يرى الدنيا بكاملها احقر من ورقة في فم جرادة ، واهون عليه من رماد آذرته الرياح في يوم عاصف ، اما في حق الامام الذي يرى الموت ايسر عليه من شرب الماء على الظمأ ، اما الذي يرى الحذاء البالية خيرا الف مرة من الملك والسلطان الا ان يقيم حقا او يدفع باطلا ، اما هذا الملاك الذي لا يشبه احدا ، ولا يشبهه احد من الناس فلا يصح في حقه شيء من مقاييس الناس التي تقوم على الاطماع ، والتهالك على الحطام .

وخير كلمة قرأتها في الاعتذار عن صفح الامام عن اعدائه ، واستخفافه بالملك ما قاله الاستاذ جرداق : « ان الذين يعترضون على الامام يريدونه ان يكون معاوية بن سفيان ، ويأبى هو الا ان يكون علي بن طالب » .

وهكذا أراد اتباع يزيد ومن على شاكلته أرادوا أن يكون الحسين كابن سعد وابن زياد حين طلبوا منه ان يبايع يزيد ، ويأبى هو الا ان يكون الحسين بن علي ، والا ان يحمل روح أبيه بين جنبيه ، والا ان يرى الموت سعادة ، والحياة مع الظالمين ندما .

قال له قيس بن الاشعث يوم الطف : انزل على حكم بني عمك فانهم لم يروك الا ما تحب . فقال له الحسين : لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ، ولا افر فرار العبيد ، ثم نادى يا عباد الله اني عذت بربي وربكم ان ترجمون ، اني اعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

وحين هلك معاوية كتب يزيد الى ابن عمه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ، وكان والياً على المدينة : اما بعد فخذ حسينا بالبيعة اخذا ليس فيه رخصة . ولما وصل الكتاب الى الوليد ارسل في طلب الحسين ، فدعا الامام جماعة من مواليه ، وأمرهم بحمل السلاح ، وقال لهم : ان الوليد قد استدعاني ، ولست آمن ان يكلفني أمرا لا أجيبه اليه ، فان سمعتم صوتي قد علا ، فادخلوا عليه ، لتمنعوه مني ، وصار الحسين الى الوليد ، فوجد عنده مروان بن الحكم ، فقرأ الوليد كتاب يزيد على الحسين ، فطلب الحسين منه الامهال ، فقال له الوليد : انصرف اذا شئت على اسم الله ، فقال له مروان : والله لان فارقك الحسين الساعة ، ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابدا . احبس الرجل حتى يبايع ، او تضرب عنقه ، فوثب الحسين ، وهو يقول : يابن الزرقاء انت تقتلني ، او هو كذبت وائمت ، وخرج الحسين ، ومعه مواليه .

فقال مروان للوليد : عصيتني . فقال الوليد : انك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما احب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها ، واني قتلت حسينا ، سبحان الله اقتل حسينا لانه قال : لا ابايع ، والله اني لاظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة . وفي رواية ان الحسين قال للوليد : ايها الأمير انا اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة بنا فتح الله ، وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله .

ولما جن الليل اقبل الحسين الى قبر جده ، وقال : السلام عليك

يا رسول الله ، انا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك ، وسبطك الذي خلفته في امتك ، فاشهـــد عليهم يا نبي الله انهم قـــد خذلوني وضيعوني ، ولم يحفظوني ، وهذه شكواي اليك حتى القاك ، ثم قام فصف قدميه للصلاة • فلما كانت الليلة الثانية خرج الى القبر ايضا ، وصلى ركعات ، فلما فرغ من صلاته ، جعل يقول :

اللهم هذا قبر نبيك محمد (ص) ، وأنا ابن بنت نبيك ، وقـد حضرني ما قد علمت • اللهم اني احب المعروف ، وانكر المنكر ، وانا اسألك يا ذا الجلال والاكرام ، بحق هذا القبر ، ومن فيه الا اخترت ما هو لك رضى ، ولرسولك رضى ، ثم بكى حتى اذا كان قريبا مـن الصبح وضع رأسه على القبر ، فاغفى ، فاذا برسول الله قـد اقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديـــه ، فضم الحسين الى صدره ، وقبل بين عينيه ، وقال : حبيبي يا حسين كـــأني أراك عن قريب مرملا بدمائك مذبوحا بارض كرب وبلاء من عصابة من امتي ، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى ، وظمآن لا تروى ، وهم مـــع ذلك يرجون شفاعتي لا انالهم شفاعتي يوم القيامة ، حبيبي يا حسين ان أباك وامك وأخاك قد قدموا علي ، وهم مشتاقون اليـــك ، وان لك لدرجات في الجنان لا تنالها الا بالشهادة ، فجعل الحسين ينظر الى جده ويقول : يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا ، خـذني اليك ، وادخلني معك في قبرك •

يا غـــيرة الله اغضبي لنبيـــه
وتزحزحي بالبيض عن اغمادها
من عصبة ضاعت دماء محمد
وبنيه بين يزيدهـــا وزيادهـــا

ضربوا بسيف محمد ابنـــاءه
ضرب الغرائب عدن بعد زيادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعـة
ترقص الاحشاء مـــن ايقادها
مـــا عـــدت الا عاد قلبي غلة
حرى ولو بالغت في ابرادهـــا

لا عذب الله امي

لا عذب الله امي انها شـــربت حب الوصى وغـــذتنيه باللبن
وكان لي والد يدعى ابا حسن فصرت من ذوادي اهوى اباحسن

طلب هذا الشاعر من الله سبحانه الرحمة والرضوان لامـــه ، وان يبعد عنها العذاب والهوان ، لانها غذته حب الوصي منذ طفولته ونعومة اظفاره ، وكانت السبب الاول لايمانه ، وحبه لمن احب الله ورسوله ، فكان انى اتجه وتحرك يرن في اذنيه هذا الاسم الحبيب الذي يجد له اطيب الوقع على قلبه وسمعه ، فهو يحمد الله على هـذه السعادة ،ويشكر لوالدته فضلها وحسن تربيتهـا • ورضـــوان الله ورحمته عليها وعليه •

خلق الله محمدا واهل بيته معـــالم للدين ، وسبلا الى الحق ، فمن ضل عنهم فلن يهتدي الى الله في طاعة ، ولا يقبل منـــه عملا ، فلقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعة الرسول ، فقال في الاية ٧١ مـــن سورة الاحزاب : « ومن يطع الله والرسول فقـــد فاز فوزا عظيما » وقال في الآية ٣٣ من سورة محمد : « يا ايها الذين آمنوا اطيعـــوا الله والرسول » وقال في الآية ١٧ من سورة الفتح « ومـــن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار • وقال في الاية ٨٠ من سورة النساء : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » الى غير ذلك من الآيات التي لم تفرق بين الله ومحمد في الطاعة والمعصية •

وكذلك الرسول الاعظم لم يفرق بـين التمسك به والتمسك باهل بيته ، فقد جاء في كتاب ذخائر العقبى للحافظ الطبرى ص ١٦ طبعة ١٣٥٦ هـ ان النبي قال : « انا واهل بيتي شجرة في الجنـــة ،

واغصانها في الدنيا ، فمن تمسك بنا اتخذ الى ربه سبيلا » وجاء في الصفحة نفسها حديث الثقلين ، واذا عطفنا هذا الحديث على قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله كانت النتيجة ان أهل البيت هم الطاعات والحسنات ، وان اعداءهم هم المعاصي والسيئات ، ومن أجل هذا قال الفرزدق :

من معشر حبهم دين وبعضهم   كفر وقربهم ملجا ومعتصم

يدلنا هذا البيت دلالة صريحة واضحة على ان الموالين للعترة الطاهرة انما يوالونهم ولاء عقيدة وايمان ، لا ولاء سياسيا ، ويبغضون اعداءهم بغضا دينيا لا حزبيا ، وقد صرحت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بان اعظم الفروض بعد التوحيد ونبوة محمد المودة في القربى ولهذا وحده نجد تاريخ الامامية في عقيدتهم وفقههم واحاديثهم وشعرهم ونثرهم تاريخ ولاء واتباع لاهل البيت ، ونجد مؤلفاتهم وكتبهم في شتى انواعها تزخر باقوال الرسول ، واثار ابنائه ، بل نجد العلماء والشعراء وغيرهم من الامامية يستعذبون الموت والاضطهاد في حب آل محمد ، والذب عنهم وعن تعاليمهم ومبادئهم ، فلقد حبس الفرزدق ، لانه ثار من اجل الامام زين العابدين ، وخاطب هشاما بقصيدته الذائعة التي قال له فيها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله   بجده انبياء الله قد ختموا
هذا علي رسول الله والده   امست بنور هداه تهتدي الامم

٥٥٥

من معشر حبهم دين وبعضهم كفر وقربهم ملجا ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم اوقيل من خيراهل الارض قيل هم

ه ه ه

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجم

والكميت القائل :

بني هاشم رهط النبي وانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

هدمت داره ، وطرد وشرد ، لانه اوقف لسانه وبيانه على نصرة الائمة الاطهار .

ودعبل صاحب التائية الذائعة النائحة التي يقول فيها :

افاطم لو خلت الحسين مجدلا وقد مات عطشانا بشط فرات
اذن للطمت الخد فاطم عنده واجريت دمع العين بالوجنات

هذا الشاعر الثائر لاقى في حب محمد وعترته ابشع انواع التنكيل والتعذيب .

وقال المتوكل للعالم الكبير ابن السكيت : ايهما احب اليك : ابناي هذان المعتز والمؤيد ، او الحسن والحسين ؟ فقال العالم : والله ان قنبرا خادم علي بن ابي طالب خير منك ومن ابنيك . فأمر المتوكل جلاوزته بسل لسانه من قفاه ، ففعلوا ومات من ساعته .

والحبر الشهير بالشهيد الاول محمد بن مكي قتل وصلب ورجم ، ثم احرق لا لشيء الا لانه يتشيع لآل محمد ، وهكذا كان مصير العالم العظيم زين الدين المعروف بالشهيد الثاني ، وغير هؤلاء

كثر لا يبلغهم الاحصاء تقبلوا القتل والعذاب مغتبطين بمرضاة الله ، ونصرة اوليائه .

لاقى محمد (ص) من المعاندين كل عنت في سبيل الاسلام ، فاستهزأوا به ، وقال له قائلهم : اما رأى الله غيرك يبعثه رسولا ، واغروا به الاطفال يرشقونه بالحجارة ، والقوا عليه الاوساخ ، وهو يصلي لله ، وتآمروا على قتله ، وعذبوا اتباعه ، كصهيب وبلال وخباب وعمار وابيه ياسر وامه سمية التي طعنها ابو جهل في قلبها ، فماتت وهي اول شهيدة في الاسلام .

وهكذا لاقى ابناء الرسول وشيعتهم في سبيل الدين والاسلام بل لاقوا اكثر واكثر حتى قال قائلهم :

نحن بني المصطفى ذوي محن   تجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الانام محنتنا   اولنا مبتل واخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم   ونحن اعيادنا مآتمنا

واذا كانت حياة الائمة الاطهار كلها احزان ومآتم حتى ايام الاعياد فحقيق بنا نحن الموالين لهم ان نجعل هذه المآتم من شعائر الدين ، فاذا اجتمعنا للعزاء فانما نجتمع ، كما نكون في الجامع للصلاة ، وكما نكون في مكة المكرمة للحج لا نبغي الا مرضاة الله وثوابه نجتمع للعزاء أملا ان تنالنا دعوة الامام الصادق (ع) حين سأل ربه سبحانه بقوله :

« اللهم ارحم تلك الاعين التي جرت دموعها رحمة لنا » « وارحم تلك القلوب التي حزنت واحترقت لنا ....» « وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ....»

الاستهانة بالموت

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج[1] :

« قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد : ويحك ، أقتلتم ذرية رسول الله (ص) ؟! فقال : عضضت بالجندل[2] انك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلناه ، ثارت علينا عصابة ايديها في مقابض سيوفها ، كالاسود الضارية ، تحطم الفرسان يمينا وشمالا ، وتلقي نفسها على الموت ، لا تقبل الامان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية ، او الاستيلاء على الملك ، فلو كففنا عنها رويدا لاتت على نفوس العسكر بحذافيرها ، فما كنا فاعلين لا ام لك ؟! » .

ومن اجل ذلك صاح عمر بن الحجاج برفاقه المارقين :

يا حمقى اتدرون من تقاتلون ؟! انكم تقاتلون فرسان المصر وقوما مستميتين . لا يبرز اليهم منكم احد . ومن اجل ذلك ايضا نهى ابن سعد أصحابه ان يبرزوا لاصحاب الحسين رجلا رجلا .

وليس هذا بعجيب ولا بغريب على من لا يبتغي شيئا في هذه الحياة الا وجه الله والدار الآخرة ، ليس هذا غريبا على الحق اذا نازل الباطل ، وعلى من سمع بعقله وقلبه صوت الله يناديه اقدم ، ولك احسن الجزاء . لقد عبر كل شهيد في الطف بافعاله قبل اقواله عما قاله سيد الشهداء : « اما والله لا اجيبهم الى شيء مما يريدون ،

---

(١) المجلد الاول عند كلامه في الاباء والشجاعة .

(٢) الجندل : الصخر العظيم .

حتى القى الله تعالى ، وانا مخضب بدمي » •

لم يكن المال والامان من اهداف ابطال الطف ، لم يكن لهم الا هدف واحد ، يفتدونه بكل ما غلا وعز ، ويستعذبون في سبيله كل شيء حتى الموت ، ليس لاصحاب الحسين الا هدف واحد لا غير هو التقرب الى الله بنصرة العترة الطاهرة ، ولا وسيلة الى نصرتهم في هذا الموقف الا بذل النفوس ، والالتجاء الى السيوف ، فراحوا يحطمون الفرسان بسيوفهم يمينا وشمالا ويلقون بانفسهم على الموت ، لا يحول بينهم وبين المنية حائل ، وما زادهم الحصار والجوع والعطش الا بسالة ومضاء •

ولم تكن لاصحاب الحسين هذه الشجاعة والاستهانة بالموت ، ولا هذه العاطفة السامية والمعاني النبيلة لولا ايمانهم بالله وبالحسين • ان الاخلاص للحق يبعث في النفوس البطولة والتضحية ، والعزم والصراحة • وهذا ما يجعلنا نشكك بالذين يظهرون الايمان ، ولا يجرأون على التفوه بكلمة الحق طمعا في حطام زائل ، او خوفا على منصب لا يدوم ، ومن اجله يؤثرون اهواء أهل الدنيا على ارادة الله والرسول • قال امير المؤمنين (ع) : اشجع الناس من غلب هواه • وقال : علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك • لا يؤنسنك الا الحق ، ولا يوحشنك الا الباطل •

وما نقله ابن ابي الحديد عن الرجل الذي شهد يوم الطف يدل دلالة صريحة واضحة على صدق ما روي عن شجاعة ابطال الطف ، وان الواحد منهم كان يقتل جمعاً كثيراً من اصحاب ابن سعد قبل ان يقتل ، وانهم كانوا على قلتهم لا يحملون على جانب من جيش

الكوفة الا كشفوه ، فلقد ارسل عروة بن قيس الى ابن سعد ، وكان قائده على الخيل ، ارسل اليه يقول : الا ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه القلة اليسيرة ؟! فامده بخمسمئة من الرماة ، فاقبلوا حتى دنوا من اصحاب الحسين ، ورشقوهم بالنبل ، فلم يلبثوا حتى عقروا خيولهم ، وصاروا رجالة كلهم ، وكان الباقون من اصحاب الحسين اثنين وثلاثين رجلا ، فاجتمع عليهم عسكر ابن سعد ، وهم الوف ، واشتبكوا معهم في اشد قتال ، حتى انتصف النهار ، وقد قتل اصحاب الحسين من اهل الكوفة المئات •

فقد رماهم ابو الشعثاء الكندي ، وهو جاثٍ بين يدي الحسين بمئة سهم لم يكد يخيب منها خمسة اسهم • وكان نافع البجلي يكتب اسمه على نبله ، ويرسلها ، فيقتل بها ، ويجرح ، وقلما تخطيء ، فأحاطوا به من كل جانب ، وضربوه على ذراعيه حتى كسرتا ، ثم اسروه والدم يسيل على وجهه وذراعيه ، فلعنهم واسمعهم ما يكرهون ، وقال لهم : قتلت منكم اثني عشر رجلا سوى من جرحت ، ولو بقيت لي عضد لزدت •

وقتل حبيب بن مظاهر اثنين وستين رجلا ، كان يصول ويجول على شيخوخته وكبر سنه ، ويستقبل الرماح بصدره ، والسيوف بوجهه ، وقد عرضوا عليه الامان والاموال ، فابى وقال : لا والله لا عذر لنا عند رسول الله (ص) ان قتل الحسين ، وفينا عين تطرف • فاجتمعوا عليه ، وقتلوه • وكان حبيب صحابيا ادرك النبي (ص) ، وشهد مع امير المؤمنين حرب الجمل وصفين والنهروان ، وكان من خاصته وحملة علومه ، وكان عابدا زاهدا يختم القرآن في ليلة واحدة •

وبعدما انتهت المعركة رجع ابن سعد الى الكوفة ، ومعه سبايا الحسين ، فخرج النساء والاطفال ينظرون الى السبايا ، وكان مع من خرج القاسم بن حبيب بن مظاهر ، وهو يومئذ غلام قد راهق الحلم ، فرأى رأس ابيه معلقا في عنق فرس[1] فاقبل الغلام مع الفارس لا يفارقه ، فاذا دخل القصر دخل معه ، واذا خرج منه خرج معه ، فارتاب به الرجل ، وقال له : ما لك يا بني تتبعني ؟ فقال الغلام : ان هذا الرأس رأس ابي ، اعطني اياه حتى ادفنه . قال : ان الامير لا يرضى ان يدفن ، واريد ان يثيبني على قتله . فقال له الغلام : ولكن الله لا يثيبك ، وبكى .

ثم ذهب الغلام ، ولم يكن له من هم الا ان يقتل قاتل ابيه ، ولم تمض الايام حتى خرج مصعب بن الزبير ، وكان القاتل مع

---

(١) كان امير المؤمنين قد اخبر حبيبا بما يحدث له ، واخبر ميثم التمار بانه يصلب وتبقر بطنه ، وبعد وفاة الامام علي (ع) التقى ميثم بحبيب ، وكان كل منهما يركب فرسا ، فقال حبيب يطايب ميثما : كأني بشيخ اصلع قد صلب في حب اهل البيت ، وتبقر بطنه فقال ميثم : اني لاعرف رجلا احمر يخرج لنصرة ابن بنت نبيه ، فيقتل ، ويجال برأسه في الكوفة . ثم افترقا ، فقال قوم كانوا جالسين يسمعون كلامهما : ما رأينا احدا اكذب من هذين . وقبل ان يفترق اهل المجلس اقبل رشيد الهجرى ، فسأل اهل المجلس عنهما ، فقالوا : مرا من هنا ، وقالا كذا وكذا . فقال رشيد ، نسي ميثم ان يقول : انه يزاد في عطاء من يأتي برأس حبيب مئة درهم . ثم ادبر ، فقال اهل المجلس : هذا والله اكذبهم . ولكن لم تمض الايام حتى شاهد هؤلاء ميثما مصلوبا ، ورأس حبيب يطاف به ، وتحقق كل ما سمعوه .

جيش مصعب ، فراقبه الغلام يلتمس الفرصة السانحة ، وفي ذات يوم دخل عسكر مصعب ، فوجد القاتل نائما في فسطاطه ، فضربه بسيفه حتى برد .

انتم مؤمنون ؟!

اين المؤمنون ؟ اين المسلمون حقا ؟ اين الاسوة والعزاء بالانبياء والاولياء ؟ وبالتالي اين الموالون للنبي واهل بيته الذين احبوا ما احب الله ومحمد وعلي والحسن والحسين ؟! قال امير المؤمنين (ع) : « لو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله ورسوله ، وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقا لله ، ومحادة عن امر الله » .

نحن ننكر على عثمان بن عفان ، لانه آثر الاقارب والارحام ، وآوى عمه الحكم طريد رسول الله ولعينه[1] وننكر على معاوية مبايعته لولده يزيد الذي اهلك الحرث والنسل ، وننكر على ابن العاص ، لانه باع دينه الى معاوية بولاية مصر ، وننكر على ابن سعد ، لانه قتل الحسين املا بملك الري ، اجل ، اننا ننكر على هؤلاء وامثالهم لا لشيء الا لانهم آثروا العاجلة على الآجلة ، واستجابوا لاهواء الاولاد والاقارب ، واستبدت بهم الشهوات والمنافع ، ولم يرعوا امر الله وحرمة الدين .

ونحن نكرم اهل البيت ، ونقيم لهم الحفلات ، ونحيي الذكريات

---

(١) الحكم هذا هو اخو عفان ابو عثمان ، وكان يؤذي رسول الله ، وينبيء المشركين باخباره . وذات يوم بينا يمشي رسول الله مشى الحكم خلفه يتفكك ويتمايل يختلج بفمه وانفه مستهزءا بالرسول فالتفت اليه ، وقال له : كن كذلك . فما زال بقية عمره كذلك . ثم اسلم خوفا من القتل ، فطرده الرسول من المدينة ، ولم يزل خارجها بقية حياة الرسول وخلافة ابي بكر وعمر حتى تولى عثمان فرده اليها وقربه ، وقالت عائشة لابنه مروان « اشهد ان رسول الله لعن اباك وانت في صلبه » .

لانهم جاهدوا وضحوا في سبيل الله ، وجابهوا الباطل ، وقاوموا العدوان ولم يثنهم الخوف على منصب او ولد ، ولكنا في نفس الوقت نستجيب لاهواء الاولاد والاقارب ، وتستبد بنا الشهوات ، ولم نراع لله امرا ولا نهيا ، تماما كما فعل اعداء اهل البيت ، نحن في اقوالنا ومظاهرنا مع الرسول وعترته ، وفي افعالنا وواقعنا مع الذين حاربوا الله ورسوله ، وعاندوا الحق واهله .

نحن لا نطلب من المسلم ان يكون حسينا ، ولا كاصحاب الحسين ، ولكن نطلب منه ان لا يكون كابن سعد واصحاب ابن سعد نطلب ان لا يسمى الظلم عدلا ، والباطل حقا تملقا لابناء الدنيا ورغبة فيما بايديهم ، نريده ان يقول للظالم يا ظالم ، ولا يسكت عن الحق . ان السكوت عن الحق ومداراة الطغاة واصحاب المال والجاه لا تجتمع مع موالاة اهل البيت الذين كانوا حربا على كل طاغٍ وباغٍ قال الامام الباقر (ع) لجابر الجعفي :

« اعلم انك لم تكن لنا ولياً الا اذا اجتمع عليك اهل مصرك ، وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : انك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على ما في كتاب الله ، فان كنت سالكا سبيله ، زاهدا في تزهيده ، راغبا في ترغيبه ، خائفا من تخويفه فاثبت وابشر ، فانه لا يضرك ما قيل فيك ، وان كنت مباينا للقرآن فما الذي يغرك من نفسك ؟! ان المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها » .

فالمقياس هو القرآن . وما اهتم القرآن في شيء اكثر من اهتمامه بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى : « لعن الذين

كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ـ المائدة ٧٩ » وقال الفقهاء : المعروف قسمان واجب وندب ، والامر بالواجب واجب ، والامر بالندب ندب ، اما المنكر فكله حرام ، فالنهي عنه واجب . وقال الامام الباقر (ع) : يكون في آخر الزمان قوم سفهاء لا يوجبون امرا بمعروف ، ولا نهيا عن منكر الا اذا امنوا الضرر ، يطلبون لانفسهم الرخص والمعاذير ... يقبلوا على الصلاة والصيام ، وما لا يكلفهم في نفس ولا مال ، ولو اضرت الصلاة باموالهم واولادهم لرفضوها كما رفضوا اتم الفرائض واشرفها » .

اراد الامام من اتم الفرائض واشرفها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اما قوم آخر الزمان فهم نحن ، حيث نفعل المنكر غير مكترثين ، او نرضى به ، او نغض الطرف عن فاعله متذرعين بخوف الضرر ، كما قال الامام متجاهلين الصبر على المكروه في جنب الله ، وخدمة الدين ؟ وأية فضيلة للمرشد اذا لم يعان المشقة والصعاب في سبيل الحق ، واعلاء كلمته .

فأياك ان تغتر بقول من قال : لا يجب التذكير الا مع أمن الضرر واحتمال النفع[1] ولو صح قولهم هذا لما وجب التذكير في وقت من الاوقات ، لانه لا يخلو زمان من معاندين ، ولا يسلم محق

---

(١) اما قوله تعالى : « فذكر ان نفعت الذكرى » فليس النفع شرطا حقيقيا للتذكير ، وانما هو اشبه بقول القائل : سله ان نفع السؤال ، لان الانبياء بعثوا للاعذار والانذار ، فعليهم التذكير على كل حال نفع او لم ينفع .

من جاحدين ، ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، والقاء الحجة لابد منه . واليكم المثل والدليل :

قبل ان يعلم الحسين بخبر ابن عمه مسلم كتب الى جماعة من اهل الكوفة : بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى اخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رايكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله سبحانه ان يحسن لنا الصنع ، وان يثيبكم على ذلك اعظم الاجر ، وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة يوم التروية ، فاذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا في امركم فاني قادم عليكم في ايامي هذه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وارسل الكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوي ، ولما قارب قيس الكوفة اعترضه الحصين بن نمير(١) فاخرج قيس الكتاب وخرقه ، فحمله الحصين الى ابن زياد ، فلما مثل بين يديه ، قال له : من انت ؟ قال : رجل من شيعة امير المؤمنين علي بن طالب وابنه . قال : لماذا خرقت الكتاب . قال : لئلا تعلم ما فيه . قال : ممن والى من ؟ قال :

---

(١) كان الحصين على شرطة ابن زياد ، وهو الذي رمى الكعبة بالمنجنيق لما تحصن فيها ابن الزبير ، وقتل الحصين في ثورة التوابين ، قال ابن ابي الحديد : ان ابا الحصين هو الذى سال امير المؤمنين عن عدد شعر رأسه حين قال سلوني قبل ان تفقدوني ، فقال له : وما علامة الصدق لو اخبرتك ؟ وكيف تعد الشعر ، ولكن اخبرك ان تحت كل شعر في رأسك شيطان يلعنك ، وعلامة ذلك ان ولدك سيحمل الراية ويخرج لقتال ولديّ الحسين ، ولم تمض الايام حتى تحقق ما قال الامام .

من الحسين الى جماعة من اهل الكوفة لا اعرف اسماءهم . فغضب ابن زيادة وقال : والله لا تفارقني حتى تخبرني باسماء هؤلاء القوم ، او تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه واخاه ، والا قطعتك اربا اربا .

فاغتنم قيس هذه الفرصة لصعود المنبر ، وقال : اما القوم فلا اخبرك باسمائهم ، واما اللعن فافعل ، قال له : اصعد والعن ، فصعد قيس ، وحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي ، واكثر من الترحم على علي والحسين والحسن ، ولعن عبيدالله بن زياد وأباه ، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ، ثم قال : ايها الناس انا رسول الحسين اليكم ، قد تركته في مكان كذا ، فاجيبوه ، فامر ابن زياد بالقائه من اعلى القصر ، فتكسرت عظامه ، وبقي به رمق ، فأتاه رجل يقال له عبدالملك بن عمير اللخمي فذبحه ، فقيل له في ذلك وعيب عليه ، فقال : أردت ان اريحه .

هؤلاء اصحاب يزيد وابن زياد كلهم عبدالملك بن عمير يذبحون الاموات ، ويمثلون بالابرار ، اما اصحاب الحسين فكلهم قيس بن مسهر ، اقدم قيس رضوان الله عليه وهو على يقين من قتله والتمثيل به ، ولكن استخف بالموت ما دام الغرض الاسمى الذي قصد اليه قد تحقق ، وهو تبليغ رسالة سيده الحسين ، والقاء الحجة على اعداء الله .

والسر الاعظم في اصحاب الحسين انهم يطلبون الموت بلهفة المشتاق ، ويودون لو تكرر قتلهم مرات ومرات في سبيل الحسين . وهكذا المؤمنون المنزهون عن الاغراض والمطامع لا يخافون على انفسهم من القتل ، ولا على اولادهم من اليتم والضياع ، وانما يخشون الله وحده على دينهم وايمانهم .

اولو العزم

قال الله جل وعلى :

« واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى واخذنا منهم ميثاقا غليظا ـ الاحزاب ٧ » .

نصت هذه الاية على ان اولى العزم من الانبياء خمسة : وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، ومعنى انهم من اولي العزم ان لكل منهم شريعة خاصة ، دعا اليها ، وحث على العمل بها ، ولاقى في سبيل ذلك الكثير من المصاعب والمتاعب ، ولكنه صبر وثابر ، بخاصة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله الذين قال : ما اوذي نبي بمثل ما اوذيت ، واوصاه الله سبحانه بالصبر كما صبر من كان قبله من اولي العزم ، حيث قال عز من قائل : « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ـ الاحقاف ٣٥ » .

اجل ، ما اوذي نبي بمثل ما اوذي به محمد (ص) ، ولكن ولده الحسين (ع) قد اصابه في سبيل الاسلام يوم كربلاء اشد واعظم مما اصاب جده الرسول الاعظم (ص) وصبر صبر الانبياء الانبياء والرسل ، وامر اهله واصحابه بالصبر ، فمن اقواله يوم الطف :

صبرا بني الكرام ، فما الموت الا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء الى الجنان الواسعة ، والنعيم الدائم ، فايكم يكره ان ينتقل من سجن الى قصر ، وما هو لاعدائكم الا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب ان ابي حدثني عن رسول الله (ص) ان الدنيا سجن

المؤمن ، وجنة الكافر ، والموت جسر هؤلاء الى جناتهم ، وجسر هؤلاء الى جهنمهم ، ما كَذبت ، ولا كُذبت .

وقال وهو يودع عياله :

استعدوا للبلاء ، واعلموا ان الله حاميكم وحافظكم ، وسينجيكم من شر الاعداء ، ويجعل عاقبة امركم الى خير ، ويعذب عدوكم بانواع العذاب ، ويعوضكم عن هذه البلية بانواع النعم والكرامة ، فلا تشكو ولا تقولوا بالسنتكم ما ينقص من قدركم .

لقد تحمل من ارزائها محنا
لم يحتملها نبي او وصي نبي
وان اعظم ما لاقاه محتسبا
عند الاله فسامى كل محتسب
حمل الفواطم اسرى للشئام على
عجف النياق تقاسي نفسه القتب
وما راث انبياء الله من محن
واوصياؤهم في سالف الحقب
كمحنة السيد السجاد حين اتت
يزيد نسوته اسرى على النجب
امامها رفعت فوق الاسنة من
حماتها ارؤس فاقت سنى الشهب

امضي على دين النبي

قال الله تعالى :

« فلما بلغ معه السعي قال يابني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتله للجبين ، وناديناه ان يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين – الصافات ١٠٢ » .

كل انسان له عاطفة وشهوات وميول ، تقيا كان او شقيا ، والفرق ان الشقي اذا تصادمت عاطفته مع دينه تغلبت العاطفة على الدين ، وكانت هي الغالبة ، وهو المغلوب ، فاذا مالت نفسه الى الحرام اقتحمه غير مكترث بواعظ ، ومزدجر بزاجر ، اما التقي فعلى العكس يتغلب دينه على عاطفته ، فاذا راودته النفس الى المعصية وهم بها تذكر امر الله ونهيه ، وزجر مشاعره ، ونهى نفسه عن ميولها وهواها .

والاشياء التي تقود العاطفة وتحركها كثيرة لا يبلغها الاحصاء ، كالجاه والمال والنساء ، والولد والصداقة ، وما الى ذلك ، ولكن عاطفة الاب اتجاه ولده اقواها جميعا ، فكم من عالم تثق به الناس قادته هذه العاطفة الى المهالك ، واودت بدينه وجاهه وكيانه ، وهنا يعرف المؤمن حقا ، ويتميز عن الزائف .

والآية الكريمة خير مثال على ذلك ، فان الوالد ارفق الناس بولده ، واحبهم الى قلبه ، ومع هذا فان دين ابراهيم (ع) تغلب على هذا الرفق والحب ، وهذه العاطفة الابوية ، واقدم على ذبح ولده طاعة لله سبحانه .. وايضا استسلم ولده للذبح طاعة لخالقه رغم

عاطفته ورغبته في الحياة .

وكذلك الحسين (ع) سلم للذبح ولديه علي الاكبر والطفل الرضيع واخاه ابا الفضل ، وجميع اقاربه واصحابه ، ثم ضحى بنفسه ، وسلمها للسيوف والرماح والسهام طاعة لله جل وعز ، وبرز الى الموت مرددا شعاره الوحيد : **امضي على دين النبي** .

ومن اجل هذا الشعار القدسي استشهد علي والحسن والحسين واصحابهم وشيعتهم الخلص ، وهو المثل الاعلى لكل من والى آل بيت رسول الله (ص) حقا وصدقا ، والفلسفة الصحيحة للتشيع الحق التي لا يحل محلها اية فلسفة اخرى .

عش في زمانك ما استطعت نبيلا
واترك حديثك للرواة جميلا
ولعزك استرخص حياتك انه
اغلى والا غادرتك ذليلا
تعطي الحياة قيادها لك كلما
صيرتها للمكرمات ذلولا
العز مقياس الحياة وضل من
قد عدّ مقياس الحياة الطولا
قل كيف عاش ولا تقل كم عاش من
جعل الحياة الى علاه سبيلا
لا غرو ان طوت المنية ما جدا
كثرت محاسنه وعاش قليلا
قتلوك للدنيا ولكن لم تدم

لبني امية بعد قتلك جيلا

ولرب نصر عاد شر هزيمة

تركت بيوت الظالمين طلولا

وحملت بصفين الكتاب رماحهم

ليكون رأسك بعده محمولا

يدعون باسم محمد وبكربلا

دمه غدا بسيوفهم مطلولا

لا عمل بعد اليوم

ان الذين رصدوا خطوات الحياة منذ درج الانسان على وجه الارض ، واستعرضوا الماضي يدركون ان جيلنا هذا لم يستقل بخلق المدنية الحديثة وايجادها ، وانما هي نتيجة لازمة لاطراد تقدم الانسان ورقيه على سلم التصاعد منذ وجد حتى الان ، فالسلف شريك الخلف في كل ما تحويه المدنية من أفانين وأعاجيب . ان حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر هي وراثة الثاني للاول ، في جميع أشيائه المادية والمعنوية ، ان حياة الانسان من بدايتها الى نهايتها بناية واحدة ، وكل عصر هو حجر في بنائها ، اذن نحن نعيش بالماضي والحاضر معا ، كما ستعيش الاجيال المقبلة بنا وبالمستقبل .

لمن هذه الانظمة والقوانين التي ترتكز عليها السياسة ؟ ومتى نشأت هذه الاديان التي شيدت لها المعابد والمعاهد ، ونبتت بذورها وأينعت في كل قلب حتى سيرت الامم والافراد في مسالكها الخاصة والعامة ؟ وأين ارباب هذه الالوف من الكتب التي فرضت نفسها على الكليات والجامعات ؟ أما منشأ اللغات وتطورها فعلمها عند ربي ، فأي مادة تقع عليها العين نجت من يد الماضي ! وأي روح لم تسترشد بحكمته وتهتد بسنائه ! وكم حوت كنوز آبائنا العرب من جواهر الحكمة فأضاعها ورائها الاقربون وانتفع بها الاباعد الغاصبون ، واتخذوا من ثمارها وسيلة الى الكبرياء والتعاظم علينا وهي لنا ومن ميراثنا الذي ذهلنا عنه حتى اصبح فريسة الذئاب .

قرأت في مجلة المختار كلمة بعنوان « أطع هذا الحافز » للدكتور وليم مولتون ، وهي على طولها وعرضها تتلخص بجملة

نطق بها احد ابطال الطف الذين ناصروا الحسين بن علي ، وهو عابس بن ابي شبيب البطل العربي ، قالها عندما رأى السيوف والرماح والسهام والاحجار تنهال وتتراكم على الحسين وأهل بيته واصحابه ، فاجج هذا المنظر في نفسه شعلة جعلت الدماء تشب في عروقه كاللهب المضطرم ، وخيل اليه ان السماء والارض قد استحالتا الى دخان ورماد ، فنظر الى مولى كان معه يدعى شوذبا ، وناداه يا شوذب ما في نفسك أن تصنع اليوم ، قال شوذب : أقاتل حتى أقتل دون ابن رسول الله ، قال عابس ذلك الظن بك ـ انه لا عمل بعد اليوم ـ حكمة بالغة ليس كمثلها شيء الا العمل بها ، ولو قالها غربي لقرأتها في كل صحيفة وسمعتها من كل لسان ، ولكنه منا وعربي مثلنا .

وصدق شوذب القول بالفعل فقاتل حتى قتل ، وماذا فعل عابس الذي نطق بهذه الحكمة الخالدة ـ لا عمل بعد اليوم ـ تقدم من الحسين وقال . أما والله ما أمسى على وجه الارض قريب او بعيد أحب علي منك ، ولو قدرت أن أدفع عنك القتل بشيء اعز علي من نفسي لفعلت ، ثم مضى الى المعركة فعرفه رجل من اصحاب ابن سعد يدعى ربيع بن تميم وكان شاهده مع الامام علي في صفين ورأى منه الاعاجيب ، فصاح ربيع بأصحابه : أيها الناس هذا اسد الاسود لا يخرجن اليه احد ، فأخذ عابس ينادي الا رجل فهابه القوم ، فنادى ابن سعد ويلكم ارضخوه بالحجارة فانهالت عليه من كل جانب ، فلما رأى عابس ذلك القى درعه ومغفره وشد عليهم ، قال ربيع رأيته والله يطرد امامه اكثر من مائتين ، ثم تكاثروا عليه فقتلوه ، واختصم الجيش في قتله وأدعاه الجميع ، فأصلح ابن سعد بينهم بقوله : هذا

لم يقتله واحد كلكم قاتله ، فهدأت الفتنة •

قتل عابس وضحى بنفسه في سبيل مبدئه واحياء عقيدته ، ومات شهيد الحق والفضيلة ، وبلغ بعمل ساعة ما لم يبلغه غيره بعمل الدهر كله ، وحاول ابن سعد أن يصرع الاقمار بالاحجار فهوت على رأسه وقلبه ، ترجمه بها يد التاريخ ما وجد له قارئا او سامعا •

ان نداء ـ لا عمل بعد اليوم ـ هو الشعار الوحيد الذي يعبر عن مبدأ شهداء الطف وعقيدتهم التي من أجلها نصبوا مهجهم هدفا للسهام والرماح دون الحسين ، وهل تجدي الاعمال كلها بعد قتل الحسين ! اذن العمل كله في هذا اليوم بل في هذه اللحظة التي ما زال الحسين فيها حيا •

وقد ندم التوابون بعد قتل الحسين على تركهم نصرته ، فنهضوا وثاروا وقتلوا ، ولكن عملوا بعد قتل الحسين ، ولا عمل بعد قتله الا الحسرة والتلهف ، قال شاعرهم عبدالله بن الحر :

فيالك حسرة ما دمت حيا
تردد بين حلقي والتراقي
فلو فلق التلهف قلب حيّ
لهمّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الالى نصروا حسينا
وخاب الاخرون الى النفاق

وهذا تفسير قول ابي الشهداء ـ لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا ندما ـ لم يستفد من هذا الدرس الذي هو ابلغ دروس الحياة ، سوى أبطال الطف الذين تسابقوا الى الموت بين يدي الحق

والفضيلة فرحين مستبشرين •

وبين هؤلاء الابطال شبه كبير مــن الوجهة النفسية ، فدرس بعضهم يوقفنا على حقيقة الباقين لا نستثني منهم سوى رجل واحد ، هو الضحاك بن عبدالله المشرقي ، فانه لازم الحسين من أول يوم حتى اذا لم يبق مع الامام الا اثنان الضحاك ثالثهم ، استأذن الحسين فـأذن له فركب فرسه ونجا ، حاول الضحاك ان يلائم بين ارادة الحيـاة واحترام العقيدة ، وأن تسالم كل واحدة جارتها ، ولما وقـع بينهما العداء والصراع قدم مصالحه الشخصية على عقيدته ، عـلى عكس النتيجة التي انتهى اليها الحر الرياحي •

تطـوع الحر بن يزيد الرياحي في جيش ابن زياد لحرب الحسين ، ولما أيقن ان الحسين مقتول لا محالـة انسحب مـن جيش الـكوفة وصحب معه ولده الشاب بكير وانضما الى الامـام وقتلا معـا بين يديه ، لقـد كان في الحر حنكة ومرونة الى جانب ايمانه القوي ، فحاول ان يؤلف بين ايمانه وتقلبات البيئة والظروف فقال في نفسه ـ أصانع القوم بما لا ينفعهم ولا يضر الحسين كي لا يظنوا أني خرجت من طاعة ـ ولما امتنع عليه الوئام بين احياء العقيدة وارادة الحياة استجاب الى صوت ضميره الحي وقام بواجب الحـق فضحى بحياته وحياة ولده في سبيل احياء ايمانه الصادق •

قدم الحر عقيدته على حياته ، وقدم الضحاك حياته على عقيدته ، ولم يكن هذا الفارق الوحيد بين الرجلين ، فقد بعث منظر القتل والقتلى في نفس الحر الشجاعة والاقدام على الموت بينما بعث في نفس الضحاك الجبن الذي أدى به الى الهزيمة والفرار . فر الضحاك رغبة في البقاء على نفسه وأهله ، وقدم الحر ولده الشاب الى المذبحة طيب النفس ، ولما رآه قتيلا يتخبط بدمه قال : الحمد لله يا بني الذي نجاك من القوم الظالمين ومن عليك بالشهادة بين يدي امامك .

ان تطوع الحر في جيش ابن زياد وموقفه من الحسين بادىء ذي بدء لا يدل على عقيدته ودخيلة نفسه السامية ، كما ان انضمام الضحاك الى الامام منذ اللحظة الاولى الى قرب الشوط الاخير لا ينبيء عن زهده في الشهادة لاجل الحق ، بل يشعر بالاقدام والتضحية .

من هذه المقارنة يدرك البصير أن ثوب الوطنية والطنطنة والتهويل ، لا يدل على الاخلاص والتضحية ، كما ان الهدوء وعدم الثرثرة والتشدق بالالفاظ الفارغة لا تكشف عن الخيانة والجبن ولكن :

اذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى

ما احب الباطل شابا ولا كهلا

في ليلة العاشر من المحرم ، ضـرب للحسين (ع) فسطاط ، ليطلي بالمسك والنوره ، ولما دخله وقف برير بن خضير الهمداني وعبدالرحمن بن عبد ربه الانصاري تختلف مناكبهما ، يتضايقـان ، ليسبق كل واحد صاحبه الى فاضل المسك ، فيفوز بمـا لمسته أنامل الطهر والقداسة ، فيعبق نشره مع نشر الدم الزكي ، دم الشهـادة والتضحية ، قال : راوي الحديث : فاخذ برير يهازل عبدالرحمن ويضاحكه فأجابه عبدالرحمن دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل • قال برير : والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شـابا ولا كهلا • ولكني لمستبشر بما نحن لاقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ، ووددت أنهم مالوا علينا الساعة •

ان الباطل في عرف القديسين مثل عبدالرحمن وبرير ان يختار الانسان الحسن مع القدرة على الاحسن ، فذكر الله في هذه الساعة التي هي اشبه ما تكون بساعة النزع وتسليم الروح خير من الدعابة ، والبكاء اولى من الابتسام ، وما كان عبدالرحمن يجهل بريرا • كيف وقد تخرجا من مدرسة واحدة على معلم واحد ، على سيد الوصيين وامام المتقين الذي كان يلقنهم دروس الكمال بافعاله قبل اقوالـه ، ويعلمهم أن الاستخفاف بصغير الذنوب مـن اكبر الذنوب ، لانـه استخفاف بالله وشرائعه وقوانينه !•

لم تكن تلك الدروس التي تلقاها برير وعبدالرحمن عن المعلم الاعظم الفاظا تذروها الرياح ، واصواتا لا تتجاوز الآذان ، بل هي

بذور تغرس في النفس فتحيا وتنمو الى أن تصبح غرائز وملكات تحرك أربابها ، وتقودهم الى مرضاة الله ورضوانه .

لقد عرف عبدالرحمن بريرا كهلا وما عرفه شابا ، والشباب مظنة الوقوع في الخطايا ، فنفى برير الطيب الذي لم يلغ في حياته كلها بالفاظ اللهو والعبث ، نفى عن نفسه هذه المظنة بحجة لا تعادلها حجة في القوة والصدق ـ والله لقد علم قومي أني ما احببت الباطل شابا ولا كهلا ـ واي حجة اقوى في الدلالة ، واصدق في الشهادة على سير الانسان وسلوكه من شهادة قومه وعشيرته الذين صاحبوه كبيرا وصغيرا ، وخالطوه غنيا وفقيرا ، ورأوا افعاله ، وسمعوا اقواله في جميع أطواره وأدواره في سره وعلانيته ، ورضاه وغضبه ، وحزنه وسروره ، ونعيمه وبؤسه ، لقد تمكن برير من نفسه وتغلب على شهواته في دور شبابه ، دور طفولة العقل ، والاستسلام الى الملذات والاهواء ، فهو كامل في شبابه ، كامل في كهولته ، لم يرتكب منكرا ولم يقترف سيئة لا اولا ولا اخرا . وما أحب باطلا ابدا ، وهؤلاء قومه وعارفوه يشهد كبيرهم وصغيرهم . أنه منذ صغره اهتدى الى سبيل الرشد والسداد ، يستبق الخيرات ، ويسارع الى المكرمات ، يناصر الحق والعدالة ، ويحارب الظلم والعدوان .

ومن اقواله وهو في معركة الطف .

يعرف فينا الخير أهل الخير
اضربكم ولا أرى من ضير

كذلك فعل الخير من برير
وكل خير فله برير

لقد ارتكز حبه الخير ، وبغضه الشر على ايمانه القوي ، وعقيدته في شخصيته ، وثباته ، في عزمه ، وثقته من مقدرته وشجاعته .

كان برير يوم الطف كلما تكررت الفظائع من العـــدو يقف منذرا ومحذرا عاقبة البغي مذكرا بالله تعالى وأهل بيت الرسول (ص) بقول لين خفيف على النفوس والاسماع ، فما فاه بـــكلمة في موقف يشعر بهجر او فحش .

فكان في مواقفه كلها متزنا في اقوالـــه كاظما لغيظه معتصما بالصبر والاناة ، لذلك عندما اكثر عليهم القول لم يزيدوا في جوابه حرفا على قولهم : لقد اكثرت الكلام يا برير .

قال لهم في موقف : يا قوم اتقوا الله فان ثقل محمد (ص) قـد أصبح بين أظهركم ، وقال في موقف ثان : أفجزاء محمد هـــذا !؟ وفي ثالث لا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم أف لهم غدا .

ولما حمل جيش البغي على الحسين واصحابه (ع) انقض عليهم برير كالصاعقة يفريهم بسيفه ويقول : أضربكم ولا أرى من ضير .

هذه الفاظه ، وهذا اسلوبه وخطابه مع قوم ما وضعت الفـــاظ السباب واللعن الا للدلالة على خساستهم . ان تلك الفظائع لم تخلق من برير رجلا غير برير فهو هو ذاك الوادع المتواضع والزاهـــد الخاشع الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، واذا كان برير عظيما فكيف يفوه بالحقير الذي يستطيع النطق به الطفـــل الصغير ، والمرأة الضعيفة ، والسفيه الفاجر ، اذا كـــان برير عظيما فليدع الكلام للسيف وحده . برز برير لقتال جيش الظلال وبـين

جنبيه قلب يستبشر بالموت استبشاره بعناق الحور العين ، فلم يـدن أحد منه لشجاعته وهيبته ، فكان يحمل على الاعداء ويفرون من بين يديه خشية من لقائه ، فيناديهم اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين ، اقتربوا مني يا قتلة اولاد رسول رب العالمين ، ولما عجزوا عن مقاومته وجهـا لوجه اغتاله كعب بن جابر بطعنة رمح في ظهره بعـد ان قتل منهم ثلاثين رجلا فأودت الطعنة بحياته الطاهرة الزكية التي شهد لصاحبها الرجال والنساء من قومه وعارفيه أنه ما عرف الباطل شابا ولا كهلا قال بعض من أعان على الحسين (ع) لكعب عندما رآه قاصدا اغتيال برير : ويلك هذا الذي كان يعلمنا القرآن ، وأقسمت زوجته لدى رجوعه اليها أن لا تكلمه ابدا ، لقد لبى برير دعوة ربه وقدم حياته قربانا بين يدي الله ورسوله . وفاز بكرامة الدنيا والاخرة .

وذلك هو الفوز العظيم .

السيد زينب

رمز لشيء عميق الدلالة

يحتفل المصريون في كل عام بمولد السيدة زينب ، وتجتمع الحشود لهـــذه الغاية في مسجدها بالالوف ، وكتب محرر مجلـة « الغد » مقالا خاصا بهذه المناسبة عن السيدة في عـدد فبراير شباط سنة ١٩٥٩ صفحة ٩ تحت عنوان « مولد السيدة وأعياد الامـــة » العربية قال :

« طوال ثلاثة اسابيع في الشهر الماضي ، كانت حشود مـــن الرجال والنساء والاطفال تتجه الى حي السيدة ، وتظل تلك الحشود الكبيرة ساهرة رغم البرد الشديد حتى الفجر ، وسط الانوار الزاهية الوف من الناس تستمتع فعلا بالمولد الـــكبير لبطلة كربلاء .. زينب اخت شهيد الاسلام الخالد الحسين بن علي .

وفي السرادقات ، والمقاهي المتنقلة ، وحول السيرك والملاهي ، ترتفع دقات الدفوف ونغمات الربابة ، وايقاع الطبول ، وأصـــوات المطربين والمنشدين ، وتهتز القلوب وتمتلىء بالبهجـــة العريضة .. وترتفع الاصوات من حناجر الالوف ممتلئة بالحب الحقيقي تنادى : « يا رئيسة الديوان » ..!

ان السيدة زينب « رئيسة الديوان » رمز لشيء عميق الدلالة ، انها المرأة الباسلة الشجاعة التي ظلت تضمد جراح الرجال في معركة كربلاء من ابناء بيت الرسول واتباع الحسين ، حتى سقطوا جميعـــا صرعى بين يديها .

لم يرهبها جنود « يزيد بن معاوية » الانذال السفاحون ، الذين اقتلع حكم يزيد الباطش المطلق من نفوسهم آخر خيط يربطهم بالانسانية .. فكانوا يقطعون بسيوفهم رقاب الاطفال أمام السيدة زينب ، ورأتهم يبقرون بطن غلام من أبناء الحسين ، فلم يزدها ذلك الا بسالة وتماسكا ورغبة في النصر .

ورأت أخاها العظيم الباسل « الحسين بن علي » وقد وقف بمفرده أمام جنود يزيد وهو يرفض التسليم وراح يقاتلهم بعد ان استشهد كل اتباعه وأهله .. ما عدا ولده زين العابدين الذى كان مريضا ، ونائما في حضن عمته « زينب » فتركوه ظنا منهم انه سيلفظ انفاسه الاخيرة من المرض .. لكنه عاش .. وكان شوكة في جنب الدولة الاموية ، تلك الدولة التي أقامها معاوية بالدس والشر ، والتنكر لاعظم مبادىء الانسانية في ذلك الزمان .. لرسالة محمد رسول الله .

واندفعت زينب من خبائها نحو أخيها .. حاسرة الرأس ملتاعة ، وزعقت بكل قواها .. واحسيناه .. ثم سقطت مغمى عليها من الحزن العميق ..

كانت ترى في نهاية الحسين ، انهيارا لبناء هائل كبير أقامه جدها النبي في طول الارض وعرضها ، ليخلص البشرية من انحطاطها واندفاعها نحو الفوضى والشر .!

ومع ذلك .. فان مصرع الحسين كان نذيرا لدولة معاوية الافاق ، وانهارت الدولة بعد ذلك بنصف قرن وسط افراح الشعب .

ظل الشعب العربي يلعن يزيد بن معاوية وخلفاءه حتى سقطوا بل ان الشعب العربي انتقم من قادة الجيش الامويين شر انتقام ، فلقى اكثرهم مصرعه بعد ان استشهد الحسين على أيديهم وهو الامام والقائد والزعيم السياسي المثالي لامة العرب في ذلك الحين • والرجل الذي قام برحلته الدامية الى العراق ، وهو يعلم ان الوف الجنود المرتزقة من جيش يزيد ، سوف تلحق به وتحول بينه وبين الاتصال بالشعب •

وكان الحسين يعلم انه سيستشهد لا محالة ، هو وأهل بيته ، لكنه مضى في طريقه دون خوف أو تردد ، وتلك صفات الزعماء الحقيقيين للشعوب •

طلبوا منه أن يسلم نفسه فأبى •• طلبوا منه البيعة ليزيد ، فرفض ان يبايع شابا فاسدا شريرا ، لا يصلح ان يقود امة حديثة في طريقها الطويل •

وامتشق سيفه ، وظل يقاتل جنود الشيطان يزيد ، خليفة المسلمين الذي فرضه أبوه معاوية فرضا على الامة العربية ••

ولم يكن معه سوى العشرات من الرجال والنساء والاطفال ، كل جيشه كان يمكن لفصيلة من الجنود سحقها في لحظات •• لكن الجيش الصغير صمد أياما طويلة وقاتل بقيادة الحسين ببسالة عجيبة مذهلة ، لم يشهد تاريخ الشرق او الغرب مثيلا لها •

كان الحسين عطشان جائعا •• ورجاله يفتك بهم الظمأ مثله ، وأطفاله يصرخون في طلب جرعة ماء •• كان الحصار من حوله في

كربلاء محكما جدا ، الوف من جنود الشيطان يمنعون عنه وعن عياله الماء ..!

ومع ذلك قاتل وصمد ولم يترك سيفه ورمحه الا بعد ان تمزق جسده بعديد من السيوف والحراب .

وخلال ذلك كله .. خلال أعظم معركة في سبيل العقيدة ، شهدها التاريخ القديم ، لامة العرب ، برزت شخصية السيدة زينب « رئيسة الديوان » كما نسميها نحن أبناء مصر .. بطلة باسلة مؤمنة شجاعة .. حتى ان يزيد بن معاوية الافاق ، لم يجرء على مناقشتها عندما ساقوها اليه ، ورفضت أن تبايعه ، ولعنته ، كما لعنت كل الذين يغدرون ويطعنون المؤمنين في ظهورهم !

ومن أجل ذلك نحن في مصر وفي كل الوطن العربي ، نؤمن ببطولة السيدة زينب ، كما نؤمن بذلك البطل الخالد « الحسين بن علي » ابي الشهداء جميعا .. نؤمن بأمثال هؤلاء العظام ونحتفل بمولدهم ، ونرقص ونغني ونطرب ، وننشد الاغاني حول أضرحتهم وذلك لاننا نحبهم ولا احد يستطيع ان يزيل من قلوبنا الحب الصادق لرائد البطولة الخارقة ..

وقد نحيا ونمتلىء بالأمل فنعمل ونكافح لان مثل هذا الرمز يضيء لنا الطريق ، ويشحننا بالرغبات الطيبة والايمان بالشرف .

ونحن لا نبالغ اذا اعتبرنا مولد السيدة زينب ومولد الحسين من الاعياد القومية لامة العرب » .

وصدق الكاتب « ان السيدة زينب رمز لشيء عميق الدلالة »

ولكن من اي نوع هذا الشيء العميق ؟ وهل كشف عنه الباحثون والمؤرخون ؟

لقد تكلم العلماء والادباء قديما وحديثا حول شخصية السيدة ، واتفقوا على بسالتها وعلمها وقوة صبرها وايمانها وعقلها ، وعلى عظمة الدور الذي قامت به في كربلاء . وحاول كثيرون ان يشرحوا هذا الدور ، ويفسروا لنا وللاجيال السر الكامن في ذهابها مع أخيها الى كربلاء . ورأى البعض ان الغاية من وجودها مع أخيها ان تبث دعوة الحق ، وتعلن سر نهضة الحسين ، وتبلغ حجته للملأ ، وتبين مساوىء الامويين ، وتألب الناس على الطغاة البغاة بالمواعظ والخطب ، كما فعلت في الكوفة والشام ، وفي الطريق اليهما منتهزة الفرص ، لانجاز مهمة اخيها سيد الشهداء .

وليس من شك انها أدت هذه المهمة على اكمل وجه بخاصة في مجلس يزيد وابن مرجانة ، فلقد عرفت كلا منهما بمكانه من الخزي والعار ، وفضحتهما لدى الاشهاد ، ولعنتهما كما لعنت كل الذين يغدرون ويفجرون ، وقد ذكرنا ذلك في غير مكان من هذا الكتاب بعنوان : « خروج الحسين بأهله الى كربلاء » ولكن هل هذا وحده هو الشيء العميق الذي ترمز اليه السيدة زينب ؟ كلا ، فأن معه شيء آخر اعمق وأبعد من هذا بكثير ، انه الاحتفاظ بالدين ، والابقاء على شريعة سيد المرسلين ، ان هذا الشيء العميق يعود الى ابيها امير المؤمنين وعلومه التي تلقاها عن اخيه وابن عمه خاتم الرسل وجد السيدة زينب ، واليك القصة من اولها :

قال الشيخ محمود ابو رية خريج الازهر في كتاب « اضواء على

السنة المحمدية » صفحة ٢٠٤ طبعة ١٩٥٨ :

« ولد علي قبل البعثة بنحو عشر سنين ، وتربى في حجر النبي وعاش تحت كنفه قبل البعثة ، وظل معه الى ان انتقل الى الرفيق الاعلى ، ولم يفارقه ابدا لا في سفر ولا في حضر - وهو ابن عمه ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء - وشهد المشاهد كلها سوى تبوك ، فقد استخلفه النبي فيها على المدينة ، فقال : يا رسول الله ، اتخلفني في النساء والصبيان ؟! فقال الرسول : اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لانبي بعدي (رواه الشيخان) اي البخاري ومسلم .

ولما قال معاوية لسعد بن ابي وقاص ما يمنعك ان تسب ابا تراب ؟ قال له : اما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله ، لان تكون واحدة لي منهن احب الي من حمر النعم ، فلن اسبه ، ثم ذكر له هذه الثلاث ، وهي حديث انت مني بمنزلة هرون من موسى ، ولاعطين الراية الى رجل يحبه الله ورسوله ، وحديث المباهلة . وقال له النبي « من كنت مولاه فعلي مولاه » وهو حديث متواتر مشهور .

وقال ابن تيمية : علي افضل اهل البيت ، وافضل بني هاشم بعد النبي ، وقد ثبت عن النبي أنه أدار كساه على علي وفاطمة والحسن والحسين ، وقال : اللهم هؤلاء اهلي ، فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا صفحة ٢٥٠ ج١ من فتاوى ابن تيمية .

ومغازيه التي شهدها مع رسول الله ، وقاتل فيها كانت تسعة : بدر وأحد والخندق وخيبر ، وفتح مكة ويوم حنين وغيرها ،

وثبت في الصحيح ان النبي قال : لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فاعطاها لعلي (ص ٣١٠ من الجزء الاول لفتاوى ابن تيمية) .

هذا هو علي رضي الله عنه الذي لو كان قد حفظ كل يوم عن النبي ، وهو الفطن اللبيب الذكي ربيب النبي حديثا واحدا ، وقد قضى معه رشيدا اكثر من ثلث قرن لبلغ ما كان يجب ان يرويه حوال ١٢ الف حديث على الاقل ، هذا اذا روى حديثا واحدا في كل يوم ، فما بالك لو كان قد روى كل ما سمعه[١] ولقد كان له حق في روايتها ولا يستطيع احد ان يماري فيها ، ولكن لم يصح عنه كما جاء بكتاب الفصل الا نحو خمسين حديثا لم يحمل البخاري ومسلم الا نحو عشرين حديثا ، هذا كلام ابي رية في كتابه « اضواء على السنة المحمدية » .

وقال الشيخ محمد ابو زهرة وهو من كبار شيوخ الازهر ، والمؤلفين المعروفين ، قال في كتاب « الامام الصادق » صفحة ١٦٢ مطبعة احمد على مخيمر[١] :

« يجب علينا ان نقرر هنا ان فقه علي وفتاويه واقضيته لم ترو

---

(١) نعم لقد روى كل ما سمعه من النبي ، ولكن لاولاده وذريته ورواه ذريته للناس على لسان محمد الباقر وجعفر الصادق ، كما سيتضح ذلك فتابع القراءة لتتاكد من هذه الحقيقة م ج .

(٢) هذا الكتاب اكبر موسوعة علمية عن الامام الصادق ، وبيان عظمته عند الله سبحانه ، وسموه في اخلاقه ، وخير مصدر للعلماء ، ومرشد لمن يجهل مقام الصادق خاصة واهل البيت عامة .

برسول الله (ص) ، فقد رافق الرسول ، وهو صبي قبل ان يبعث ، واستمر معه الى ان قبضه الله تعالى رسوله اليه ، ولذا كان يجب ان يذكر له في كتب السنة اضعاف ما هو مذكور فيها .

واذا كان لنا ان نتعرف السبب الذي من أجله اختفى عن جمهور المسلمين بعض مرويات علي وفقهه ، فانا نقول : انه لابد ان يكون للحكم الاموي اثر في اختفاء كثير من آثار علي في القضاء والافتاء ، لانه ليس من المعقول ان يلعنوا علياً فوق المنابر ، وان يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه ، وينقلون فتاويه وأقواله للناس ، وخصوصا ما كان يتصل منها باساس الحكم الاسلامي ...

ولكن هل كان اختفاء اكثر آثار علي رضي الله عنه ، وعدم شهرتها بين جماهير المسلمين سبيلا لاندثارها ، وذهابها في لجةالتاريخ الى حيث لا يعلم بها احد ..!! ان علياً رضي الله عنه قد استشهد ، وقد ترك وراءه من ذريته أبرارا أطهارا كانوا أئمة في علم الاسلام ، وكانوا ممن يقتدى بهم ، ترك ولديه من فاطمة الحسن والحسين ، وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية ، فاودعهم عنه ذلك العلم ، وقد قال ابن عباس : انه ما انتفع بكلام بعد كلام رسول الله (ص) كما انتفع بكلام علي بن طالب كرم الله وجهه ، وقام اولئك الابناء بالمحافظة على تراث ابيهم الفكري ، وهو امام الهدى ، فحفظوه من الضياع ، وقد انتقل معهم الى المدينة لما انتقلوا اليها بعد استشهاده رضي الله عنه كان منصرفا فيها الى الدرس والافتاء في مدة الخلفاء الراشدين قبله ، وقد كانت حياته كلها للفقه وعلم الدين ، وكان اكثر الصحابة اتصالا في كتب السنة بالقدر الذي يتفق مع مدة خلافته ولا مع المدة التي

وبذلك ننتهي الى ان البيت العلوي فيـه علم الرواية كاملة عن علي رضي الله عنه ، رووا عنه ما رواه عن الرسول كاملا ، او قريبا من الكمال ، ورووا عنه فتاويه كاملة وفقهه كاملا او قريبا من الكمال ، واستكنوا بهذا العلم المشرق في كن من البيت الكريم » .

واذا عطفت هذا القول للشيخ ابي زهرة على قول الشيخ ابي ريه السابق فانك واصل حتما الى اليقين بان علم محمد عند علي ، وعلم علي عند ابنائه ، وهم الذين نشروه واذاعوه على الناس .

نقلنا أقوال هذين الشيخين الجليلين من شيوخ الازهر باللفظ لا بالمعنى ، نقلناهما بالحرف الواحد مع ارقام الصفحات وهي تقدم الادلة على حقيقة لا ترد ولا تقبل التشكيك .

علي بن ابي طالب الذي لازم النبي منذ طفولته الى آخر يوم من أيام الرسول لا يروى عنه الا خمسون حديثا !!... علي الذي تربى في حجر الرسول ، وكان منه بالمنزلة الخصيصة ، يتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، ويرفع له كل يوم نميرا من علمه واخلاقه لا يروي عن النبي الا خمسين حديثا ، وابو هريرة الذي لم يصحب النبي الا نحو ثلاث سنوات ، لا يراه فيها الا قليلا ، والحين بعد الحين يروى عنه **٥٣٧٤** حديثا !.. ولو اخذنا بهذا القياس لوجب ان يروى الامام **١٨٢١٦** حديثا ، لانه لازم النبي رشيدا اكثر من ثلث قرن .

ومن هنا تعلم ان السر الوحيد لقلة الرواية عن الامام علي هو ما اشار اليه الشيخ ابو زهرة ، هو عداء الامويين وموقفهم من الامام ، وممن يذكره بخير ، فقد عاقبوا من يروي منقبة من منافبه ، او ينقل

حديثا عنه ، وتتبعوا تلاميذه وخاصته في كل مكان ، كميثم التمار وعمر بن الحمق ورشيد الهجرى وحجر بن عدي وكميل بن زناد وغيرهم وغيرهم ، وقتلوهم الواحد بعد الاخر ، ونكلوا بهم شر تنكيل ، كي لا يتسرب عن طريقهم اثر من آثار علي .

اجل ، لقد بذل الامويون اقصى الجهود ، واستعملوا التقتيل والتنكيل ، وسلكوا جميع السبل ، ليقضوا القضاء الاخير على كل اثر يتصل بعلي من قريب او بعيد الا السب واللعن ، ان الامويين يعلمون حق العلم ان علياً اخو رسول الله ووصيه ووارث علمه وامينه على شرعه وحجته البالغة على الناس اجمعين ، ويعلم الامويون ايضا انهم ملعونون في كتاب الله وعلى لسان نبيه ، فالامساك عن علي وآثاره معناه القضاء على حكمهم ، لان آثار علي هي آثار محمد الذي نص على ان الخلافة محرمة على الامويين ، لذا لعنوا الامام على المنابر ، وقتلوا خاصته ، كي لا يروا شيئا عنه ، ولكن يابى الله الا ان يتم نوره ، فلقد اودع الامام علوم الرسول ذريته واولاده ، كما قال الشيخ ابو زهرة ، ووصلت الينا عن طريق آله وذريته .

ولم تخف هذه الحقيقة على الامويين ، فحاولوا القضاء على ذرية علي ، وان لا يبقوا من نسله حياً ، ليمحوا كل اثر له من الوجود ، واصدق شاهد على ذلك قول شمر بن ذي الجوشن : « قد صدر أمر الامير عبدالله ان اقتل جميع اولاد الحسين » قال هذا حين شهر سيفه ليقتل الامام زين العابدين ، وقد دفعه عنه حميد بن مسلم وعمر بن سعد ، وقالت عمته الحوراء لما همّ بقتله : والله لا يقتل حتى اقتل وفي هذا نجد التفسير الصحيح لقتل الطفل الرضيع وغيره من اولاد

اهل البيت (ع) •

قتل الامويين سيدي شباب أهـل الجنة الحسن والحسين ، وقتلوا ابناء الحسين ، ولم ينج منهم الا الامام زين العابدين ، والفضل الاول في نجاته من القتل للسيدة زينب ، دفعت عنه شمرا في كربلاء ، وابن زياد في الكوفة ، حيث امر بقتله ، فتعلقت به السيدة ، واعتنقته قائلة : والله لا افارقه ، فان قتلته فاقتلني معه ، فنظر ابن مرجانة اليهما ساعة ، ثم قال : « عجبا للرحم !•• والله اني لاظنها ودت اني قتلتها معه ، دعوه ، فأني أراه لما به »••

كـلا ، ليست المسألة مسألة رحم ، وكفى ، ولا مسألة حب وعطف فقط ، انها اعمق وابعد من ذلك التفكير ، انها الخوف عـلى دين الله وعلوم رسول الله من الضياع ، لقد استماتت السيدة دون الامام زين العابدين ، لانه حلقة الاتصال بين الحسين وبين الامامين الباقر والصادق اللذين اشاعا وأذاعا علوم محمد وعلي •

كان علم الرسول عند علي ، وعلم علي عنـد ولديه الحسن والحسين ، وعلم الحسين عند زين العابدين ، ومنه الى ولده البـاقر وحفيده الصادق ، وهكذا انتقلت علوم الرسول من امام الى امام حتى ذهب الامويون ، وزال حكمهم ، ولم يبق له عين ولا اثر في عهـد الصادقين حيث انتشرت علومهما في كل مكان ، ولم يكن من سبيل الى بث هذه العلوم في عهد الامويين ، ويؤكد هذه الحقيقة ان الحسين لما توجه الى العراق دفع الى ام سلمة الوصية والكتب ، وقال لهـا : اذا أتاك اكبر ولدي ، فادفعيها اليـه ، وبعـد ان قتل الحسين اتى زين العابدين الى ام سلمة ، فدفعت اليه كل شيء اعطاها الحسين •

فالامام زين العابدين هو حلقة الاتصال بين ابيه وجده وبين ولديه الصادقين ، ولو فقدت هذه الحلقة لم يكن لعلوم علي خبر ولا اثر ، ولخسر الدين والاسلام اعظم ثماره وأثمن كنوزه ، ولهذا وقفت السيدة موقفها مع الذين حاولوا قتل الامام زين العابدين ، وكان لها اكرم يد وافضلها رمزاً لشيء عميق الدلالة » كما قال محرر مجلة « الغد » ولكنه لم يدرك نوع هذا السر على حقيقته ، وكفاه معرفة ان يدرك ، ولو على سبيل الاجمال ، ان السيدة زينب رمز لشيء عميق الدلالة .

وقد يتساءل : اذا كانت الغاية الاولى والاخيرة هي المحافظة على الامام زين العابدين فلماذا صحبه الحسين معه الى كربلاء ؟ ولماذا لم يبقه في حرم جده الرسول ؟..

والجواب ان المدينة كانت تحت سيطرة الامويين ، وكان فيها مروان بن الحكم الذي اشار على الوليد بقتل الحسين ، فكيف يأمن الحسين على أهله ، وهم بين ايدي الطغاة ، وفي حكم اشد الناس لؤماً وعداءا للحسين ولكل من يمت اليه بسبب او نسب .

وقد اسلفنا ان الامويين اصدروا أمرهم بقتل اولاد الحسين حتى الطفل الرضيع ، فهل يعفون ويصفحون عن خليفته واكبر اولاده ووارث علمه ؟! وهل للامويين هدف من قتل الحسين واولاده واصحاب ابيه واصحابه الا القضاء على كل اثر لابي الحسين وجد الحسين ؟! .

ومرة ثانية نقول مع محرر المجلة : « ان السيدة زينب رمز

لشيء عميق الدلالة ، • انها لـكلمة بالغـة ، ما انطق بها الكاتب الا الحق ، والا عظمة السيدة ، انها لـكلمة تحمل من المعاني ما تضيق عنها المجلدات ، وكل مآثر أهـل البيت الطاهر لا تتسع لها الكتب والاسفار •

الامام الصادق

في هذه السنة ١٣٨٠هـ ظهر في الرياض عاصمة المملكة السعودية مجلة تحمل اسم « راية الاسلام » ، وصاحب الامتياز اسمه الشيخ عبداللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ، ورئيس التحرير الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان ، والمدير الشيخ علي بن حمد الصالحي[1] « ثلاثة ليس لهم شبيه » باعوا انفسهم للشيطان ، وقبضوا الثمن كاملا ، فجرى منهم مجرى الدم في العروق ، وما خالفوا له قولا ، ولا عصوا له امراً حتى اصاب منهم كل ما يبتغي ، وحتى اصبحوا له نصيباً مفروضاً ، واطوع له من بنانه ، يديره كيف شاء ، ومتى اراد ، فاذا تكلموا فبلسانه ، واذا كتبوا فبقلمه ، واذا فكروا فبوحي منه يفكرون ، واذا فعلوا فبأمره يعملون .

وفي ربيع الآخر سنة ١٣٨٠هـ صدرت الاوامر لهؤلاء « الثلاثة » من سيدهم « ابي مرة » ان يكتبوا في مجلته « راية الشيطان » مقالا وضع لهم تصاميمه ، ورسم معالمه ، ثم اوحى اليهم ان يقيموا عليها اركانه وبنيانه ، فنشروا مقالا في العدد الخامس بعنوان « خطاب موجه لشيخ الجامع الازهر » ، وقعوه باسم « براهيم الجبهان » وهذي هي الاسس التي اوحى بها ابليس الى شيوخه ، واحتواها مقال آله ورجاله :

١ ـ التهجم على شيخ الازهر بالفاظ السفاهة والجهالة ، لانه

---

(١) كان من نتيجة الردود والاحتجاجات التي قام بها علماء جبل عامل واهل القطيف والبحرين ان طرد المسؤولون في السعودية الشيخ الصالحي من ادارة المجلة .

يناصر دعوة التقريب بين المذاهب الاسلامية ، وهذه الدعوة ترضي الله الذي قال : ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتغضب سيدهم ابليس الذي يفرق بين المرء وزوجه ، ويبث التعصب والشقاق بين العباد •

٢ ـ نعتُ الامام الصادق (ع) بما يهتز له العرش ، ويقوم له الكون بما فيه ، افتروا على عظمته لا لشيء الا لانه امام العلم والدين ، وقائد الخير والحق ، وحرب على الشرك والمشركين ، وعز للاسلام والمسلمين ، والا لانه مهجة الرسول الناطق بلسانه والحافظ لشريعته وتعاليمه •

٣ ـ تكفير الشيعة بعامة ، والامامية منهم بخاصة ، والتحريض على قتلهم وابادتهم ، لانهم يعبدون الله مخلصين له الدين ، لا يوالون فاجراً ، ولا يهادنون جائراً ، ولا يساومون مستعمراً •

هذي هي الاسس التي رسمها الشيطان لشيوخه ، وبنوا عليها بنيانه في مجلته ، فتصدى لهم علماء جبل عامل في لبنان الذين كانوا وما زالوا الركن الركين للاسلام ، والحصن المنيع للتشيع ومبادىء اهل البيت الكرام ، فاحتجوا لدى المسئولين في السعودية ، وفي سفارتها ببيروت ، ونشروا الردود في المجلات والجرائد ، كما قام اهل القطيف والبحرين بواجبهم في هذه السبيل ، وهدموا ما بناه شيوخ مجلة الشيطان ، ونقضوا ما دبروا ، وعليه تآمروا ، حتى اضطروهم مرغمين الى ان يكتبوا في العد السابع من هذه المجلة مقالا ضافياً عن الامام الصادق وعظمته عند الله والناس ، فاقروا بالحق بعد ان جحدوا ، واكذبوا انفسهم بانفسهم • ومما جاء في المقال المذكور :

« نحن الآن بصدد علم من اعلام الاسلام ، وسيد من سادات المسلمين ، لم يكن اميراً ولا ملكاً ، ولم يكن قائداً ولا خليفة ، ولكنه اسمى من ذلك واجل ، انه عالم من خيار علماء المسلمين ، وخيرة بني هاشم ، انه من سلالة آل بيت الرسول الذين نكن لهم كل حب واحترام ، والذين لا يحصل ايمان احد الا وقلبه عامر بحب رسول الله وآله ، فآل البيت عند اهل السنة مكرمون محترمون معترف لهم فضلهم وقربهم من الرسول ، وحبهم دين وصلاح ، والترضي عنهم مبدأ يسير المسلمون عليه ، وصاحبنا من افضل اهل البيت ، ولم يات بعده افضل ولا اتقى منه ، فهو الامام الذي اتفق المسلمون على اختلاف طوائفهم وتعدد مذاهبهم على امامته وورعه وتقواه ، واثنوا عليه ومدحوه ، لفضله وزهده وعلمه وقرابته من رسول الله ... ونشر العلم ، واخذ عنه خلق كثير ، وروى عنه سادة الامة وخيارها امثال سفيان الثوري ، وابن عينية وسلمان بن بلال والدراوردي وابن حازم وابو حنيفة ومالك ... وقال ابو حاتم : لا يسأل عن مثله . وقال عمر بن المقداد : كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين ، واثنى عليه شيخ الاسلام ابن تيمية(١) في منهاج السنة ، وقال عنه : انه من خيار اهل الفضل والدين ، واشاد بفضله . وقال السخاوي : كان من سادات اهل البيت فقهاً وعلماً وفضلا وجوداً يصلح للخلافة بسؤدده وفضله وعلمه وشرفه ... وقال عنه ابو حنيفة : ما رأيت افقه منه . وقال عنه مالك : اختلفت اليه زماناً ، فما كنت أراه الا مصلياً او صائماً ، وما رأيته يحدث الا على طهارة ..

---

(١) ابن تيمية الحجة الكبرى والقدوة العظمى عند الوهابيين .

هذا ما قالته المجلة في عددها السابع بعد ان نشرت ما نشرتـه في العدد الخامس ، وهكذا انكر ابو سفيان نبوة محمد ، وقاد الجيوش لحربه في بدر واحُد والخندق ، ثم آمن به حـين جاء نصـر الله والفتـح !..

كتبت رداً على مجلة الشيوخ الثلاثة نشرته العرفان في عـدد تشرين الثاني سنة ١٩٦٠ ، ثم نشر في كراسة مستقلة .

ورغب اليّ بعض الاخوان الافاضل ان اكتب كلمة حـول كتاب جديد ، اسمه « الامام الصادق » لفضيلة الاستاذ العالم الشيخ محمد « ابو زهرة » ، وفي نفس الوقت طلب مني الاستاذ نزار الزين ان اكتب للعرفان مقالا مستقلا عن الامام الصادق (ع) ، لا اتعرض فيه لكتاب ابي زهرة ، لا تأييداً ولا تفنيداً ، وحجته في تبرير هـذه الشرط ان يعرف اصحاب مجلة الشيطان على اية عظمة تجرأوا ، ومن اية قداسة نالوا ، فيأتي المقال رداً ضمنياً بعد الرد الصريح .

وما دامت هذي هي الغاية الاولى والاخيرة من هذا المقال[1] فاني انقل للقراء ما ذكره الشيخ ابو زهرة من النعوت والاوصاف التي

---

(١) لم يكن من قصدي ادراج هذا المقال هنا ، بل كان العزم على نشره في العرفان ، وكفى ، ولكن رغب الي اكثر من واحـد ان انشره في كراسة على حدة ، وجاءتني رسائل بذلك من بعض الاخوان في البحرين بعد ان علموا به ، فرأيت ان انشـره هنا وفي العرفان ، لان رسالتي ان تعم مناقب الآل الكرام كل مكان وزمان ، وان تتردد على كل لسان ، وفي كل صحيفة وكتاب ، هذا بالاضافة الى اني عرفت كتابي هذا في المقدمة « بان فيه ذكر لآل الرسول ، ولا شيء اكثر من ذلك » .

وصف بها الامام الصادق في كتابه المذكور ، هذا مع العلم بان صاحب الكتاب ازهري ، بل من شيوخ الازهر الكبار ، والمؤلفين المكثرين ، والباحثين المعروفين ، وقد بلغت صفحات الكتاب ٥٦٨ بالقطع الكبير ، وكلها او جلها ارقام وشواهد على امامة الصادق في الدين والعلوم ، وعلو منزلته في الفضائل ومكارم الاخلاق كاملة دون استثناء .

وقد اقتبست من مجموع صفحات الكتاب وسطوره كلمتي التالية مشيراً في آخرها الى بعض الملاحظات . وسلفاً اقول : انها لم تف بالغاية من عظمة الامام الصادق التي صورها الشيخ في كتابه ، فلقد ابرز من شخصية الامام ما لا يفي به الا كتاب ضخم في حجم كتابه الحافل ، وليس من شك ان ايمانه بقوى شخصية الامام وغزارتها قد اسعفاه وامداه بتلك الصفحات الطوال ، وعكسا في نفسه وعقله سطورها وكلماتها .

استمع الى المؤلف ، وهو يقول في اول صفحة من مقدمة الكتاب: كتبنا عن سبعة من الائمة الكرام ، وتأخرنا في الكتابة عن الامام الصادق تهيباً لمقامه .

ثم ان الشيخ الفاضل يوافق الامامية الاثني عشرية عن علم وايمان بكل ما يعتقدونه بالامام الصادق ، ولا يخالفهم الا في امرين: الاول في وجوب العصمة له ، والثاني في انه امام سياسي ، كما انه امام ديني بالنص من امام عن امام الى ان ينتهي النص الى الرسول الاعظم (ص) . ان الشيخ ابا زهرة يعتقد بامامة الصادق في الدين والعلوم ، وانه الفصل والفارق بين الحق والباطل ، كما جاء في ص ١٨٤ ، ولكنه يختلف عن الامامية بالاتجاه ، وقد بين ذلك صراحة

في ص ٧٤ حيث قال ما نصه بالحرف الواحد :

« ندرس الامام الصادق بنظرنا وتفكيرنا وباتجاهنا ، ولسنا بصدد تقرير ما يراه الذين حملوا اسم الجعفرية فقط ، ولا ضير في ان يختلف نظرنا الى الامام عن نظرهم ما دامت النتيجة هي بيان شأن الامام ، وبيان علو قدره ، وقد اعلوه بنظرهم ، ونعليه بنظرنا ، والغاية واحدة ، وحسبه شرفاً انه يصل الى اعلى مراتب الرفعة باتجاهنا واتجاههم ، ونظرنا ونظرهم » .

والآن ، وبعد هذا التمهيد تعالوا معي لنرى الى هذه الشرارة من القبس الذي آتانا به فضيلة المؤلف من نور الامام الصادق وهديه:

نسبه

ينتهي نسبه الى سيف الله المسلول ، وفارس الاسلام علي بن ابي طالب ، وقد نال فوق هذا كله اكبر شرف في الاسلام بعد العمل الصالح ، وهو من عترة النبي الطاهرة .

وصفه الجسمي

كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ابيض الوجه ازهر ، له لمعان كانه سراج ، اسود الشعر اجعده ، اشم الانف ، وقد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهراً ، على خده خال اسود ، ولما تقدم في السن زاده الشيب بهاء ووقاراً وجلالا وهيبة .

تسميته بالصادق

قال ابن خلكان في كتاب وفيات الاعيان : « لقب بالصادق لصدق مقالته » . وقال ابو زهرة : ومن يكون اصدق قولا ممن لقبه

الخصوم والاولياء والتاريخ كله بالصادق ، وهو الامام ابو عبد الله رضي الله تعالى عنه وعن آبائه الاكرمين الابرار الاطهار . ومن الائمة من اختلف فيه الناس بين موال غالى في ولايتـــه ، وخصم غالى في خصومته ، والامام الصادق اجمع العلماء عـــلى فضله ، واذا غـــالى كثيرون في محبته ، فانه لم يكن العكس بالنسبة الى الامام الصادق ، حيث لم يغال في عداوته احد ، بل لم يعاده احد .

صفاته النفسية

اما صفاته النفسية والعقلية فقد علا بها على اهل الارض ، وانّى لاهل الارض ان يسامتوا اهل السماء ؟! سمو في الغايــة ، وتجرد في الحق ، ورياضة للنفس ، وانصراف الى العلم والعبادة ، وابتعاد عن الدنيا ومآربها ، وبصيرة تبدد الظلمات ، واخلاص لا يفوقه اخلاص ، لانه من معدنه ، من شجرة النبوة ، واذا لم يكن الاخلاص في عترة النبي ، واحفاد علي ففيمن يكون ؟! فلقد توارث احفاد علي الاخلاص خلفا عن سلف ، وفرعا عن اصل ، فكانوا يحبون لله ، ويبغضون لله ويعتبرون ذلك من اصول الايمان وظواهر اليقين .

والصادق مصداق لقوله تعالى : « ثم اورثنا الـــكتاب الـــذين اصطفينا من عبادنا » وهو من اولياء الله الذين قال فيهم : « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهو من الذين عناهم جـــده الرسول بقوله : « ان الله يحب ذا البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب ذا العقل الكامل عند حلول المشكلات » ومن غير الصادق يبدد الشبهات بعقله النير ، وبصيرته الهادية المرشدة ؟!

وكان علي بن ابي طالب من اسخى الصحابة ، بل من اسخى

العرب ، وقد كان احفاده كذلك من بعده ، فزين العابدين كـــان يحمل الطعام ليلا ليوزعه على بيوت ما عرفت خصاصتها الا من بعده ، فلم يكن غريبا ان يكون الامام الصادق النابت في ذلك البيت الكريم سخيا جوادا ، فقد يعطي حتى لا يبقى لعياله شيئا •

وكان حليما لا يقابل الاساءة بمثلها ، بل يقابلها بالتي هي احسن عملا بقوله تعالى : « ادفع بالتي هي احسن » •

اما الشجاعة فقد كانت ملازمة لذرية علي ، وهي فيهم كالجبلة لا يهابون الموت ، وبخاصة من يكونون في مثل حـــال ابي عبدالله الصادق الذي عمر الايمان قلبه ، وانصرف عن الاهواء والشهوات ، واستولى عليه خوف الله تعالى وحده ، ومن عمر قلبه بالايمـــان لا يخاف احدا الا الله •

وكان ذا فراسة قوية جعلته ذا احساس قوي يدرك به مغبـــة الامور ، والفراسة من اخلاق المؤمنين ، كما ان الله سبحانه قد اضفى عليه جلالا ونورا من نوره ، وذلك لكثرة عبادته وصمته عن اللغو ، وقد راع ابا حنيفة منظر الامام الصادق ، واعتراه من الهيبة له مـــا لم يعتره من الهيبة للمنصور صاحب الطول والحول والقوة ، والتقى به ابن ابي العوجاء ، وهو من دعاة الزنادقة فارتاع ، ولم يحر جوابا ، فتعجب الصادق من امره ، وقال له : مالك ؟! •• فقال : مـــا ينطق لساني بين يديك ، فاني شاهدت العلماء ، وناظرت المتكلمين ، فمـــا داخلني قط مثل ما داخلني من هيبتك !••

هذه بعض صفاته النفسية ، وبعضها يعلو على الرجال ، ويرتفع الى اعلى المراتب ، فكيف وقد تحلى بهذه الصفات وغيرها ؟!••

علومه

انصرف الامام الصادق بكله الى العلم ، فلم يشغل نفسه بشيء سواه ، وكان مخلصا لله في احياء العلم ونشره ، يرشد الضال ، ويهدي الى الحق ، ويرد الشبهات ، ويدفع الزيغ ، ويعمل على تنقية عقائد المسلمين مما اعترى بعضها من الانحراف ، ويبث روح التسامح ، ويمنع الطائفية ، فكان بذلك الامام الصادق حقا ، وحفيد الامام علي ، وسيد العترة الطاهرة .

وكان يدرس علم الكون ، وما اشتمل عليه ، ومن تلاميذه الكيمائي الشهير جابر بن حيان ، تلقى عنده علم الكيمياء ، ووضع فيه رسائل ، طبع منها خمسمئة رسالة في المانيا قبل ثلاثمئة سنة ، وهي موجودة في مكتبة الدولة ببرلين ، وفي مكتبة باريس ، ومما قاله الاستاذ ابو زهرة في ص ١٠١ وما بعدها :

« ان الامام جعفرا كان قوة فكرية في هذا العصر ، فلم يكتف بالدراسات الاسلامية ، وعلوم القرآن والسنة والعقيدة ، بل اتجه الى دراسة الكون واسراره ، ثم حلق بعقله الجبار في سماء الافلاك ومدارات الشمس والقمر والنجوم ، وبذلك علم مقدار نعمة الله على عبده ... وقد عنى عناية كبرى بدراسة النفس الانسانية ، واذا كان التاريخ يقرر ان سقراط قد انزل الفلسفة من السماء الى الانسان ، فان الامام الصادق قد درس السماء والارض والانسان وشرائع الاديان » .

وكان في علم الاسلام كله الامام الذي يرجع اليه ، وله في الفقه القدح المعلي ، فهو اعلم الناس باختلاف الفقهاء ، يعلم الفقه

العراقي ومناهجه ، وفقه المدينة وارتباطه بادلته وآثاره ، واعتبره ابو حنيفة استاذه في الفقه ، فقد سئل ابو حنيفة : من اين جاء لك هـذا الفقه ؟ فقال : « كنت في معدن العلم ، ولزمت شيخا من شيوخـه » وهو يقصد بمعدن العلم الامام الصادق •

وهيأ له ابو حنيفة اربعين مسألة بطلب من المنصور ، فاجاب عنها الامام بما عند العراقيين ، وما عند الحجازيين ، وما ارتآه الامام فقال ابو حنيفة : « اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس » واخذ عنه مالك ويحي بن سعيد الانصاري وسفيان الثوري ، وغيرهم كثير •

وروى عنه اصحـاب السنن : ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدار قطني ومسلم ، وكثيرون غير هؤلاء من جمهـور السنة • وقال الشيخ ابو زهرة : ان العلوم التي اخذها علي عن النبي اودعها ذريته ، وهم اذاعوها على الناس حين اتيحت لهم الفرصة • وهذا عين ما تقوله الامامية في علوم اهل البيت دون زيادة ، وقـد كرروه واكدوه في كتب العقائد والحديث ، والفقه والتفسير ، ونظمه احـد شعرائهم :

اذا شئت ان تبغي لنفسك مذهبـا
ينجيك يوم البعث مـن لهب النار

فدع عنك قـول الشافعي ومالك
واحمد والمروي عن كعب احبـار

ووال اناسـا نقـلهم وحـديثهم
روى جدنا عن جبرائيل عن الباري

وبهذا يتبين معنا ان قول الشيخ في ص ٧٠ : « ان الاماميـة

يقولون : ان علم الامام جعفر الهامي وليس بكسبي » من سهو القلم ، ونسبة بلا مصدر ، واذا كان الامامية لا ينسبون علم النبي الى الالهام بل ان جبريل عن الله جل شأنه فكيف ينسبون علم ابنائه الى الالهام ؟!
وهناك ملاحظات أخرى على الكتاب :

« منها » ما جاء في ص ٣٦ « ان المؤلف لا يستطيع ان يقبل روايات الكليني صاحب الكافي ، لان بعض رواياته لا يقول بصحتها كبار علماء الاثني عشرية ، كالمرتضى والطوسى » .

ونجيب فضيلة الشيخ بان التشكيك في بعض روايات الكافي لا يستدعي طرح رواياته كلها . وقد شكك كثير من الحفاظ ببعض الرواة الذين اعتمد عليهم البخاري في صحيحه ، ومع ذلك لم يطرح اهل السنة كل ما في البخاري . نقل صاحب كتاب « اضواء على السنة المحمدية » ص **٢٧٥** طبعة دار التأليف سنة **١٩٥٨** ان الحفاظ ضعفوا من رجال البخاري ثمانين رجلا ، ومن رجال مسلم مئة وستين ، وبالرغم من هذا فهما من الصحاح عند السنة ، واذا جاز لنا ان نطرح جميع روايات الكليني لحديث واحد ، او احاديث في موضوع من الموضوعات يجوز لنا ، والحال هذه ، ان نطرح جميع روايات البخاري ومسلم .

هذا ، وقد رجح البخاري صدق راوٍ ، ورجح مسلم كذبه ، كعكرمة مولى ابن عباس[١] ومع ذلك يعتبر اهل السنة كلا من كتاب

---

(١) جاء في كتب السنة ان عكرمة هذا الذي صدقه البخاري وعمل بحديثه قد ملأ الدنيا كذبا ، وانه كان يرى رأي الخوارج ، ويقبل جوائز الامراء وجاء في كتب السنة ايضا ان ابا هريرة كذبه علي وعمر وعائشة ، ومع ذلك روى عنه البخاري ومسلم .

البخاري ومسلم صحيحا ، وبديهة ان الشيء الواحد لا يتصف بصفة ونقيضها في آن واحد •

« ومنها » ما جاء في ص ٧٣ « ان النبي كان يجتهد ، وكان في اجتهاده عرضة للخطأ •• بل ثبت انه قد اخطأ وعلمه ربه الصواب» •

ان خطأ الانبياء في الاحكام محال بحكم العقل ، لان وقوع الخطأ منهم مناف لحكمة البعثة المقصود منها ارشاد الخلق الى الحق ، ان قول النبي دليل قاطع لرفع الخطأ ، فاذا اخطأ انتفت عنه صفة الدلالة، وبالتالي تنتفي عنه صفة النبوة والرسالة •

الحسين عمره واولاده والشهداء من اهله

مولـــده

ولد الحسين (ع) في شعبان سنة ٣ هـ ، وولد اخـوه الحسن في رمضان سنة ٢ هـ ، وحين وضعته فاطمة قالت لابيه : سمـه . قال: ما كنتُ لاسبق باسمه رسول الله . وحين رآه النبي قال للامام : هل سميته ؟ فقال : ما كنت لاسبقك باسمه . فقال النبي : وما كنت لاسبق ربي عزوجل . فاوحى الله اليه ان سمه الحسين .

عمره الشريف

اقام مع جده ست سنوات ، ومع ابيه ثلاثين ، ومع اخيه الحسن بعد وفاة ابيه عشرا ، وبقي بعد أخيه عشرا ، فـكان عمره الشريف ٥٦ ، وقيل ٥٧ .

اولاده

له عشرة اولاد ٦ ذكور و٤ اناث .

١ ـ علي الاكبر ، وأمه ليلى بنت ابي مرة الثقفي ، وامهـــا ميمونة بنت ابي سفيان ، واخت معاوية ، فعلي الاكبر ابن بنت عمـة يزيد ، ويزيد ابن خال ام علي الاكبر . وناداه رجل يوم الطف من عسكر ابن سعد ، وقال له : ان لك مع يزيد رحما ، فان شئت امناك فقال له : ويلك لقرابة رسول الله احق بالرعاية . وقال معاوية يومـا لجلسائه : من احق الناس بهذا الامر ؟ فقالوا له : انت . قال : كلا ، اولى الناس به علي بن الحسين ، جده رسول الله ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني امية ، وزهو ثقيف .

٢ ـ علي الاصغر ، وهو الامام زين العابدين (ع) ، وامه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد ملك الفرس ، ومعنى شاه زنان بالعربية ملكة النساء ، ونسل الحسين كله من الامام زين العابدين •

٣ ـ علي الاوسط •

٤ ـ جعفر ، مات في حياة ابيه ، ولا بقية له •

٥ ـ محمد •

٦ ـ عبدالله الرضيع الذي جاءه سهم ، فذبحه ، وهو في حجر ابيه[1] •

الشهداء من اقاربه

استشهد من اقارب الحسين اثنان من ولده ، وهما علي ابن الاكبر ، والطفل الرضيع •

وتسعة من اخوته ابناء علي ، وهم العباس ، وجعفر ، وعثمان وعبدالله ، ومحمد ، وابو بكر ، وعمر[1] وعون ، ومحمد الاوسط •

واربعة من ولد الحسن ، وهم القاسم وعبدالله ، وابو بكر ، واحمد ، وسبي مع النساء ثلاثة من ولد الحسن ، الحسن بن الحسن المثنى ، وعمرو ، وزيد ، وحارب الحسن المثنى مع عمه الحسين حتى قطعت يده واثخن بالجراح ، ولم يقتل •

---

(١) اعيان الشيعة الجزء الرابع سيرة الحسين

(١) وام عمر الصهباء الثعلبية ، وهي ام حبيبة ، وقد اختلف الرواة فيه ، فبعضهم قال : ذهب مع الحسين الى كربلاء ، وبعضهم قال : تخلف ، ومات سنه ٧٧ وله اولاد كثيرون •

واستشهد ثلاثة من اولاد زينب بنت امير المؤمنين ، وهم عون ، ومحمد ، وعبيدالله ، وابوهم عبدالله بن جعفر •

وواحد من ولد جعفر بن ابي طالب ، وهو عون اخو عبدالله بن جعفر •

وثلاثة عشر من ولد عقيل بن ابي طالب ، وهم مسلم بن عقيل وعبدالله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن سعيد بن عقيل ، وعبدالله الاصغر بن عقيل ، وعبدالله الاكبر بن عقيل وموسى بن عقيل ، وعلي بن عقيل ، واحمد بن عقيل ، وجعفر بن عقيل ، وعبدالرحمن بن عقيل ، وصبيان من ولد عقيل كانا مع السبايا ، وهربا من الخوف والذعر ، فأتيا دار رجل طائي فلجآ اليه ، ولما علم انهما من سبايا الحسين وبقايا اهل البيت قتلهما ، وجاء برأسهما الى ابن زياد يطلب الجائزة فقال له ابن زياد : جائزتك القتل • وأمر به فقتل ، فمجموع الذين استشهدوا من نسل ابي ابي طالب ٣٢ ما عدا الحسين (ع) •

مطلقة الحسين وزوجة يزيد

قال في نفس المهموم : ان هند بنت عبدالله بن عامر كانت تحت الحسين ، فطلقها ، وتزوجت يزيد ، وحين دخل السبايا على يزيد في الشام حسرت هند عن رأسها ، وشقت الثياب ، ودخلت على يزيد في مجلسه تدب وتصيح ، وقالت : يا يزيد أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب !••

يزيد

نسبه

هو يزيد بن معاوية ، وينسب معاوية الى اربعة رجال عمر بن مسافر ، وعمارة بن الوليد ، والعباس بن عبدالمطلب ، ورجل اسود يدعى الصباح[1] ، وكانت هند جدة يزيد مغرمة بحب السود ، وما نسب معاوية احد ممن يعرف حالها الى ابي سفيان ، لانها وضعته بعد زواجها منه بثلاثة اشهر ، وهند هذه هي التي اكلت كبد الحمزة عم الرسول ، حتى اصبح لفظ « آكلة الاكباد » علما لها .

وام يزيد هي ميسون بنت عبدالرحمن بن بجدل الكلبي ، مكنت عبدا لابيها من نفسها ، وحملت بيزيد[2] .

وجده ابو سفيان اعدى اعداء الله ورسوله ، وهو الذي قاد الحرب ضد الاسلام والقرآن في بدر واحد والاحزاب .

ولادته وشكله

ولد سنة ٢٥ هـ ، وكان رفيع الصوت ، شديد السمرة ، بدينا كثير اللحم كثير الشعر ، مجدرا اصيب في صغره بالجدري بقيت اثارها الى اخر عمره .

مهنته

عداوة الله ورسوله ، وقتل العترة الطاهرة ، وسبي الحرائر ،

---

(١) ذخيرة الدارين نقلا عن ربيع الابرار للزمخشري .
(٢) المصدر نفسه .

وذبح الاطفال ، ونـــكح الامهات والبنات والاخوات[1] والصيد ، وشرب الخمر ، واللعب بالكلاب والقرود . قال عبدالله بن حنظلة : « والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء . ان رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي احد من الناس لابليت الله فيـــه بلاء حسنا » .

حكمه ومشاريعه

تولى الحكم بعد أبيه في رجب سنة ٦٠ هـ ، اما مشاريع دولته ففي السنة الاولى من حكمه قتل الحسين واولاده واصحابه ، وسبى نساءه ، وفي السنة الثانية اباح مدينة الرسول ثلاثة أيام ، وقتل مـــن المهاجرين والانصار والتابعين عشرة الاف سوى النساء والصبيان ، واستحل اعراض النساء حتى ولدت الف عذراء لا يعرف لمواليدهن أب ، وفي هذه الوقعة المعروفة بوقعة الحرة دخل رجل من عسكر يزيد على امرأة نفساء من نساء الانصار ، وفي حجرها طفل رضيع فقال لها : هل من مال ؟ قالت : لا والله ما تركوا لنا شيئا . فقال لها : اعطني والا قتلتك ، وهذا الطفل . قالت : انه ولد ابن ابي كبشـــة الانصاري صاحب رسول الله . فلم يكترث ، واخذ برجل الصبي ، وفمه في ثدي امه ، وجذبه من حجرها ، وضرب به الحائط ، فانتثر دماغه على الارض .

وفي السنة الثالثة رمى يزيد الكعبة بالمنجنيق ، وقذفها بالحجارة

---

(١) العروبة للخالصي ص ٨٦ نقلا عن رسالة «تجويز لعن يزيد» لابن الجوزي . « وابو الشهداء » للعقاد ص ٦٠ طبعة دار الهلال .

واحرقها بالنار •

وفاتـه

مات سنة ٦٤ هـ بذات الجنب « السل » لادمانه الشـــراب ، وافراطه في الملذات ، بات ذات ليلة سكرانا ، فاصبح ميتا متغيرا كأنــه مطلي بالقار • وقيل : طارد غزالا ، فوقع عن الفرس ، ودق عنقه • مات في حوارين[1] ، ونقل الى دمشق ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وقبره الان مزبلة ، وفي عهد العباسيين نبش قبره ، فوجد فيــه خط اسود ممتد من اوله الى اخره •

قال بعض المؤلفين : لما رأى الشيطان يزيد بن معاويــة تعوذ منه ، وقال : ما كنت احسب ان في الكون من هو أشقى مني ، حتى رأيت يزيد !•• ولكن يزيد عند مروان بن الحكم يستسقى الغمام بوجهه !•• وفي كل عصـــر يزيد ومروان ، وليس في الدنيــا الا حسين واحد •

ومن العجائب ان يسود مذمم   جم العيوب وان ينحى السـيد
ويسوس امر المسلمين مولـه   رجس وتصرعه الطلا فيعربـد
ويقوم باسم الدين فيهم آمرا   من لم يطلب في الناس منه المولد

يزيد والمستعمرون

اكتشفت المستشرقون يزيـــد بن معاوية ، وهم ينقبــون عن

---

(١) حوارين بلدة بين دمشق وحمص ، ولا يزال فيهـــا آثار رومانية تنبيء عن قصر فخم كان يرتاده يزيد ، واهلهـــا الى الان يطلقون عليه اسم قصر يزيد •

العورات في تاريخ المسلمين ، فطاروا به فرحا ، كأنهم اهتدوا الى آبار غنية بالبترول .. واخذوا يمجدونه ، ويشيدون باعماله الاصلاحية ، بخاصة الاب لامانس[1] فقد اطنب واشاد بسمو افكاره ومشاريعه الانسانية ، والف فيه وفي ابيه معاوية كتابا ضخما قدمه الى قومه المستعمرين ، ليختاروا عملاء من العرب والمسلمين امثال يزيد ينصبونهم حكاما على قومهم ، وحراسا لمصالح الاستعمار ، يمدونهم بالقوة والسلاح ، لينكلوا بالمصلحين ، ويكيدوا للاسلام ، ويعملوا على هدمه ، وتقويض شعائره .

---

(١) لامانس مستشرق فرنسي ، وهو اصدق مثال للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله والمبغض للقرآن ومحمد وآله . يقول عن فاطمة سيدة النساء : كانت بنتا مقلقة مزعجة تثير الشغب والاضطراب . اما معاوية وولده يزيد فمن المصطفين الاخيار ، ويا ليت جميع حكام الشرق في صفاتهما واخلاقهما حتى يطمئن الاستعمار « ولا يبيتن الا هادىء البال » .

مشهد الحسين *

كان مصرع الحسين عليه السلام بدء نهاية الحكم الاموي ، اذ هو السبب الاكبر لظهور الدعوة الى آل البيت النبوي ، وانتشارها في ارجاء العالم الاسلامي ، حتى اسفرت عن زوال تلك الدولة وقيام دولة بني العباس . لان العرب والمسلمين على السواء اعتبروا هذا الحادث عدوانا اثيما على بيت النبوة ولذلك أصبح سهل كربلاء بقعة مقدسة ، كثرت حولها المؤلفات والاشعار والقصص . ومما رواه الامام السادس ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ان الملائكة حملت ترابا مقدسا من القدس الى كربلاء قبل الف سنة ليكون قبرا . وقيل ان الامام علي رضي الله عنه تحدث عن قداسة المكان فقال : « ان مثتي نبي ومثتي مندوب للانبياء ومثتين من ابناء الانبياء يودون ان يدفنوا هنا » .

فليس بغريب اذن ان يصبح الموضع الذي دفن فيه جسد سيد الشهد مزارا ، يحج اليه الناس للتبرك به وتأدية واجب الاحترام له . واسم كربلاء أطلق أصلا على القسم الشرقي من حدائق النخل التي تحيط بالبلدة التي نمت وازدهرت بسرعة ، الا اننا نجد لها ذكرا في المراجع التاريخية الاولى . وأول ما قرأنا عنها ان الخليفة العباسي المتوكل امر – عام ٨٥٠ ميلادى – باغراق المنطقة وهدم البيوت والابنية الموجودة فيها وحرث الارض كلها ، وفرض عقوبات صارمة على الحجاج القادمين اليها كي يمنع زيارتها . لكن البلدة ما لبثت

(*) مجلة العالم عدد حزيران ١٩٥٩ .

ان عادت للظهور ثانية ، واعتقد الشيعة ان المشهد لم يتأثر ابدا بالماء وظل على حاله • وبعد قرن من الزمن كتب ابن حوقل عن المشهد الذي بني فوق ضريح الحسين عليه السلام فوصفه بانه غرفة واسعة تعلوها قبة ، لها باب في كل من جهاتها الاربع • وبعد مئتي سنة (٩٧٩ - ٩٨٠) هاجم البلدة فريق من الاعراب جاءوا من عين التمر وخربوا المشهد وغيره من الاماكن ، فصب عليهم بنو بويه - وهم شيعيون - جام غضبهم وعاقبوهم ومن رافقهم أقسى عقوبة ، وأسرع عضد الدولة فأعاد بناء كربلاء وبسط عليها الحماية •

وفي ربيع الاول سنة ٤٠٧ هجرية (١٠١٦ ميلادية) شب حريق في البناء فتهدمت القبة والاروقة واحترقت • وفي سنة ٤١٤ أمر الحسين بن الفضل ببناء سور حول كربلاء • ومن ذلك الوقت تشابه تاريخ النجف الاشرف وكربلاء الى حد بعيد ، فاحترمها الاتراك الذين احتلوا العراق ، وزار ملك شاه سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) المشهدين وفرق الصدقات والاموال • ونجت البلدتان من غزو المنغول • وفي سنة ١٣٠٣ ميلادية زار الخان غازي كربلاء وحمل معه هدايا غالية الثمن ، وشق « أرغون » قناة من نهر الفرات الى البلدة اطلق عليها فيما بعد اسم نهر الحسينية • وجاء العثمانيون الى الحكم فحافظوا على المشهدين ، وزار سليمان القانوني ضريح الحسين وأمر بتجديد حفر القناة وتوسيعها وزراعة الاراضي المحيطة بالبلدة ، وكانت الاوامر تصدر الى الولاة في بغداد بأن يراعوا كربلاء ويعنوا بابنيتها • وجدد مراد الرابع سنة ٩٩١ هجرية (١٥٨٣ ميلادية) بناء الضريح والمشهد وما حولهما من الزوايا •

وعادت النجف وكربلاء الى حكم الشيعة اذ انتزعها « عباس الكبير » من الحكم العثماني ، فأعاد بناء المشهدين على الشكل الذي نراه في الوقت الحاضر . وفي سنة ١٧٤٣ ميلادية شيد نادر شاه قبة مشهد الحسين وصادر في الوقت ذاته الاوقاف التي خصص ريعها للأئمة . وتوالت الهدايا من الامراء والاغنياء الشيعيين من كل مكان . وفي اواخر القرن الثامن عشر زين مؤسس أسرة قاجار المالكة في ايران القبة والمنارة بالذهب .

ويقع ضريح الحسين عليه السلام في باحة مساحتها ٣٥٤ قدما = ٢٧٠ قدما[1] تحيط بها الايوانات والحجرات ، وجدرانها محلاة بحجارة ذات لون أزرق نقشت عليها جميع آيات القرآن الكريم بأحرف بيضاء . ومساحة المشهد ذاته ١٥٦ ـ ١٣٨ قدما ويتألف من عمارة قائمة الزوايا لها قاعة خارجية مذهبة تحف بها ممرات أعدت للطواف . وفي منتصف الغرفة المركزية المقبية توجد « صندوقة الحسين » وحولها مشبكان ، الخارجي مصنوع على شكل مشربية من الفضة والداخلي من الذهب . وفي هذين المشبكين يلقي المخلصون هداياهم من النقود والمجوهرات ويفتحان مرة في السنة لجمع هذه الهدايا بحفلة ضخمة . وهناك ضريح ثان دفن فيه علي الاكبر ابن الحسين عليه السلام .

وفي كربلاء مشهد كبير ثان لعباس بن علي ، وهو يشبه في نسق بنائه وحجمه وتعدد الاروقة والغرف فيه مشهد الحسين . والفرق الوحيد هو ان للثاني مآذن وللاول مئذنتين ، كما ان قبته

---

(١) القدم ثلاثون سانتمتر ونصف على التقريب .

غير مغطاة بصفائح الذهب . والسبب في ذلك هو ان نادر شاه رأى (وهو يعتزم بناء المشهدين) العباس في منامه ، فقال له : « انا اصغر سنا من الحسين ، وما انا الا قلامة ظفر لسيدي . ولذلك وجب ان تجعل فرقا في البناء بين مقام السيد ومقام العبد » . ويعتقد الزوار ان النقمة تحل بكل من يحلف كاذبا عند ضريح العباس .

وفرش داخل المشهدين بالسجاجيد العجمية النفيسة ، وزين ابدع زينة تثير الاعجاب والروعة ، وتصعب على الواصف .

لقد مضى على مصرع سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنه ١٣١٧ سنة[١] ، وما زال الالوف يزورون مشهده للتبرك به وتقديم واجب الاحترام للمدفون فيه ، وتجديد ذكرى الفاجعة التي حدثت في العاشر من شهر المحرم سنة ٦١ هجرية .

---

(١) وضع الشيخ مغنية هذا الكتاب عام ١٣٧٨هـ . (الناشر)

معاوية

حاول بعض الشيوخ ان ينزه معاوية بن ابي سفيان عن الجرائم بل الف ابن حجر كتابا للذب عنه ، اسماه « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان » . وقال آخر : قل ما تشاء عن يزيد ولا تزيد .

والحقيقة ان يزيد سيئة من سيئات معاوية ، وان الابن لم يأت بمنكر الا اتى الاب بما هو اعظم واخطر ، بل ان معاوية احدث بدعا لا يعرفها يزيد ولا غير يزيد . واليك الارقام .

تأمر يزيد على المسلمين بالقهر والغلبة ، وكذلك ابوه معاوية تأمر عليهم من غير مشورتهم ، وعلى غير رضا من المهاجرين والانصار وحارب يزيد الحسين في كربلاء ، وقتله وقتل اصحابه ، وحارب معاوية علياً في صفين ، وقتل عمّار بن ياسر الصحابي الجليل ، وسم الحسن ، ومالك الاشتر ، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وقتل حجر بن عدي ، واصحابه في مرج عذراء ، ومحمد بن ابي بكر ، وذبح جيش يزيد بقيادة عمر بن سعد اطفال الحسين ، وكذلك ذبح عسكر معاوية بقيادة بسر بن ارطأة القثم وعبدالرحمن طفلي عبيدالله بن العباس في حجر امهما .

وشرب يزيد الخمر ، ولبس الحرير والديباج ، وشرب معاوية الخمر ايام حكمه في الشام ، ولبس الحرير والديباج ، وشرب بآنية الذهب والفضة ، وركب السروج المحلّاة بهما ، واباح يزيد مدينة

الرسول ، وارسل معاوية بسرا الى المدينة فاخافها ، وقتل منها خلقا كثيراً (مروج الذهب للمسعودي) ، وحين رأى يزيد رأس الحسين فرح واستبشر ، وانشد « ليت اشياخي ببدر شهدوا » وحين جاء نعي الحسن لمعاوية اظهر الفرح والسرور • ورفع صوته بالتكبير •

وتشاء الصدف ان يتم شبه الابن بالاب من جميع الوجوه ، ذلك انه عندما كبّر معاوية معلنا الابتهاج بموت الحسن سمعته فاختة بنت فرضة بن عمرو بن نوفل ، فدخلت عليه ، وقالت : ما الذي بلغك فسررت ؟ قال : موت الحسن • فصاحت ، وبكت ، وقالت : يموت الحسن سيد المسلمين ، وابن رسول الله ، فتظهر الشماته ؟!•• وهكذا فعلت هند بنت عبدالله بن عامر مع يزيد حين ادخلوا عليه الرأس والسبايا ، وسب معاوية علياً ، لانه يحمل علم الله والرسول، وداس يزيد ظهر الحسين وصدره بسنابك الخيل ، لان فيه علم الله والرسول •

وتفرد معاوية ببدع واحداث لم يشاركه فيها احد ، حتى ولده يزيد ، فلقد حول الخلافة الاسلامية الى ملك يتوارثه السفهاء والغلمان والحق ابن السفاح بغير ابيه الشرعي ، كما فعل مع زياد ابن ابيه ، وخذل عثمان ، ثم نشر قميصه مطالبا بدمه ، واعطى عهودا للحسن ، ثم نكث واخلف • ودفن الاحياء تحت التراب ، فقد دفن زياد ابن ابيه عبدالرحمن بن حسان الغنزى حيا بأمر معاوية ، ودبر المكايد للتفرقة بين المرء وزوجه ، كما فعل مع عبدالله بن سلام وزوجته

زينب بنت اسحاق ، وسن سب الصلحاء والاولياء على المنابر[1] ووهب مصر لابن العاص ثمنا لغدره وخيانته . وكذب على الله ورسوله ، وشجع على وضع الاحاديث عن الرسول الاعظم .

في ذات يوم صعد المنبر ، وقال :

ايها الناس ان رسول الله قال : انك ستلي الخلافة من بعدى ، فاختر الارض المقدسة ، فان فيها الابدال ، وقد اخترتكم ، فالعنوا ابا تراب[2] ثم كتب كتابا ، وقرأه الناس ، وفيه هذا كتاب امير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمدا نبيا ، وكان اميا لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من اهله وزيرا كاتبا امينا ، فكان الوحي ينزل على محمد وانا اكتبه ، وهو لا يعلم ما اكتب ، فلم يكن بيني وبين الله احد من خلقه .

---

(١) قال جاهل متعصب : ان الشيعة كفار ، لانهم يسبون بعض الصحابة . ونقول في جوابه : ان هذه النسبة رواية لم تثبت ، ولكن سب معاوية عليا على المنابر ثابت بشهادة التاريخ ، ومع ذلك لا تقول بكفره ، فان كان السب يوجب الكفر فمعاوية كافر ، وان كان لا يوجب الكفر فالشيعة مسلمون ، وان صح انهم يسبون ، فاما ان تقول باسلامهما معا واما بكفرهما معا ، والتفكيك جهل وتعصب .

(٢) قال الشيخ ابو زهرة في كتاب المذاهب الاسلامية ص ٥١ : « كتبت ام سلمة زوج الرسول الى معاوية كتابا تقول له فيه : انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك انكم تلعنون علي بن طالب ومن احبه واشهد ان رسول الله ص احبه » . وفي مسند احمد وصحيح البخارى ومسلم ان رسول الله قال يوم خيبر : اني دافع الراية غدا الى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له ، ثم دفعها الى علي . بعد ان كان قد اخذها كل من ابي بكر وعمر ورجع ، ولم يفتح له .

وولى معاوية ابا هريرة على مدينة الرسول ، لانه وضع حديثا كاذبا ، وهو « ان لكل نبي حرما ، وان حرمي بالمدينة ، فمن احدث فيها حدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، واشهد بالله بأن عليا احدث فيها » . فجاء شاب من اهل الكوفة ، فجلس الى ابي هريرة وقال له : يا ابا هريرة ، انشدك الله ، أسمعت رسول الله يقول لعلي ابن طالب ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ؟ فقال : اللهم نعم . فقال الشاب : اشهد بالله لقد واليت عدوه ، وعاديت وليه[1] .

وبذل معاوية لسمرة بن جندب مئة الف درهم ليروي عن النبي أن هذه الاية « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام » نزلت في علي بن طالب ، وان آية « ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت في قاتله ابن ملجم ، فلم يقبل سمرة بالمئة الف ، فبذل له مئتي الف ، فلم يقبل ، فبذل ثلثمائة الف فلم يقبل ، فبذل له اربعمئة الف فقبل ، وروى كذبا وافتراء !..

---

(١) كتاب « اضواء على السنة المحمدية » للاستاذ محمود ابو رية ص ١٩١ طبعة ١٩٥٨ ، وهذا الكتاب جديد وفريد في بابه ، لا غنى عنه للفقيه والمحدث ، ولا لاي كان يريد ان يأخذ الدين من معدنه فقد اثبت المؤلف بالارقام والبرهان ان الصحاح الستة التي تعتمد السنة على احاديثها لم تتخذ المقاييس العلمية لتمييز الاحاديث الكاذبة من الصحيحة ، وان الكثير من رجال الصحاح لا يجوز الاخذ بحديثهم بخاصة ابا هريرة الذي كذبه علي وعمر وعثمان وعائشة ، واني اشعر بالرغبة الملحة في تلخيصه بفصل مستقل في بعض مؤلفاتي . وعسى ان تسنح الفرصة .

علي الذي قال له الرسول : يا علي لا يبغضك الا منافق ، ولا يحبك الا مؤمن . وقال : علي مع الحق ، والحق مع علي ، وقال يوم خيبر : سأعطى الراية الى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، ثم اعطاها لعلي . على هذا خصم لله ، وابن ملجم من الذين اشتروا انفسهم ابتغاء مرضاة الله !..

وليس بعجب ولا غريب ان يفتري معاوية وسمرة الكذب على الله ، فالاول عدو الدين ، والثاني باع دينه للشيطان ، ولكن العجب من الذين يقدسون معاوية وسمرة ، ويؤمنون بعدالتهما لا لشيء الا لصحبتهما ، فقد قرر الكثير من شيوخ السنة في كتب الحديث والاصول ان جميع الصحابة عدول لا يجوز نقدهم ولا تجريحهم « واعتبروهم جميعا معصومين من الخطأ والسهو والنسيان »[1] .

معاوية معصوم عن الخطأ حتى ولو تعمد الكذب على الله والرسول ، وسمرة عادل ، وان باع دينه للشيطان ، اما علي والحسن والحسين فغير معصومين ، وان كانوا اهل بيت الرسول ، بل ولو ضحوا في سبيل الاسلام بالارواح والعيال والاطفال !.. لقد انكر بعض الكتاب على الشيعة قولهم بعصمة من زكاهم القرآن ، وطهرهم من الرجس ، ولم ينكر على بعض السنة القول بعدالة الصحابة الذين هم على شاكلة معاوية وسمرة !..

معاوية عادل ، لانه بذل الاموال والمناصب لوضع الاحاديث في القدح باخي الرسول في الدنيا والاخرة ! ومعاوية مؤمن ، لانه شجع

---

(١) كتاب « الاضواء على السنة المحمدية » ص ٣٢٢ .

الافتراء على الله ، وامر بوضع احاديث في فضائله مثل « كتب معاوية آية الكرسي بقلممن ذهب جاء به جبرائيل هدية لهمن فوق العرش » • وهذا الحديث المفترى هو المصدر الوحيد لكتابة معاوية للوحي[1] •

سئل النسائي وهو في دمشق عن فضائل معاويـــة • فقال : الا يرضى معاوية رأسا برأس ، حتى يفضل ؟! •

واذا وجد في الصحابة مثل سمرة بن جندب وابي هريرة وابن العاص يقبضون ويكذبون فان فيهم من يناصر الحق ، ولا تستهويه الاموال والمناصب فلقد وقف جماعة لمعاوية وجابهوه بالحقيقـــة ، وصارحوه بمثالبه ومروقه من الدين ، وأقوالهم مثبتة في كتب السير والتاريخ ، لو جمعت لجاءت في مجلد ضخم ، واليك بعضها :

كتب معاوية الى سعد بن وقاص يستحثه على الطلب بدم عثمان فرد عليه سعد ان عليا احق بالخلافة من غيره ، لانه شارك غـــيره في محاسنه ، ولم يشاركه احـــد في محاسنه • وكتب قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الى معاوية جوابا له عن كتابه : اما بعد فأنت وثني ابن وثني دخلت في الاسلام كرها ، وخرجت منه طوعا •

وقالت له اروى بنت الحارث بن عبدالمطلب : لقد كفرت النعمة وتسميت بغير اسمك ، واخذت غير حقك بلا بلاء كان منك ولا مـن ابيك بعد ان كفرتم بما جاء به محمد ، فاتعس الله منـكم الجـدود ، واضرع منكم الخدود حتى رد الله الحق الى اهله ، وكانت كلمـــة

---

(١) انظر كتاب الاضواء علـى السنة المحمـــدية ص ٨١١ • والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية • ص ١٧٢ طبعة ١٩٤٨ •

الله هي العليـــا ، ونبينا هو المنصور عـــلى كل من ناواه ، ولو كره المشركون ، فكنا اهل البيت اعظم الناس في هـذا الدين بلاء ، وعن اهله غناء وقدرا حتى قبض الله نبيه مغفورا ذنبه مرفوعة منزلته شريفا عند الله مرضيا ، فوثب علينا بعده تيم وعدي ، وبنو امية ، فانت منهم تهدي بهداهم ، وتقصد بقصدهم ، فصرنا فيكم بحمد الله اهل البيت بمنزلة قوم موسى وآل فرعون يذبحون ابناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار سيدنا فيكم بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى ، حيث يقول يا ابن ام ان القوم استضعفوني ، وكادوا يقتلونني ، فلم يجتمع بعد رسول الله شمل ، ولم يسهل وعث ، وغايتنا الجنة ، وغايتكم النار .

عقيل ومعاوية

كان لابي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ ستة اولاد : اربعة ذكور وابنتان ، طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي ، وام هاني ، وجمانة ، وامهم جميعا فاطمة بنت اسد ، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من علي بعشر سنين .

وليس فيما لدي من المصادر ذكر لجمانة سوى انها اخت الامام علي ، واما ام هاني ، واسمها فاخته فقد أسلمت ، وتزوجها هبيرة بن ابي لهب بن عمرو ، وولدت له اولادا ، ومات وهو مشرك ، وعن ابن عباس ان النبي دخل يوم الفتح على ام هاني ،وكان جائعا ، فقالت : يا رسول الله ان اصهارا لي قد لجؤا الي وان اخي عليا لا تأخذه في الله لومة لائم ، واخاف ان يعلم بهم ، فيقتلهم ، فاجعل من دخل دار أم هاوي آمنا ، فقال رسول الله : اجرنا من اجارت ام هاني . ثم قال لها : هل عندك من شيء نأكله ؟ فقالت : ليس عندي الا كسر يابسة ، واستحي اقدمها لك . قال : هلمي بهن . ولما اتته بكسر الخبز وضعهن بالماء والملح . وقال لها : هل من ادام ؟ قالت : ما عندي الا شيء من خل ، فصبه النبي على طعامه ، واكل منه ، ثم حمد الله وقال نعم الادام الخل ، يا ام هاني ، لا يفتقر بيت فيه خل[1] .

---

(١) اراد النبي بهذا ان يهون على ابنة عمه ، كي لا يدخل في في روعها انها قصرت بحقه ، وان يعطي درسا عاما لجميع الناس بان كل ما تيسر من الطعام فهو خير خلا كان او غيره ، وانما ذكر الخل بالخصوص ، لانه الميسور في ساعته تلك ، وغير بعيد انه لو لم يوجد عند ام هاني الا الملح لقال (ص) : نعم الادام الملح .

واسلم جعفر قبل هجرة الرسول الى المدينة ، وهاجر مع جماعة من المسلمين الى الحبشة ، وكان النبي (ص) شديد الحب له ، فقد قال له يوما : « اشبهت خَلقي وخُلقي » ، وصادف قدوم جعفر من الحبشة يوم فتح خيبر ، فتلقاه النبي ، وقبله بين عينيه ، وقال : ما ادري بايهما انا اشد فرحا بقدوم جعفر او بفتح خيبر ، وقال له : حدثني ببعض عجائب الحبشة .

فقال : نعم ، بابي انت وامي يا رسول الله ، بينا أنا سائر في بعض طرقات الحبشة اذا بعجوز على رأسها مكتل ، فاقبل شاب يركض على فرس له ، فالقاه على وجهها ، والقى المكتل عن رأسها ، فاسترجعت قائمة ، واتبعته النظر ، وهي تقول : الويل لك غدا اذا جلس الملك على كرسيه ، فاقتص للمظلوم من الظالم ، فجرت دموع رسول الله على لحيته مثل الجمان ، ثم قال : لا قدس الله امة لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم .

وكان جعفر خير الناس للمساكين ، يطعمهم ويكسوهم ، ويجلس اليهم يحدثهم ويحدثونه ، حتى كناه رسول الله ابا المساكين وكان الناس يعرفونه وينادونه بهذه الكنية ، وقتل جعفر في غزاة مؤتة بالبلقاء سنة ثمان من الهجرة ، وثبت عن النبي بطريق السنة والشيعة انه قال : رأيت جعفرا يطير بجناحين في الجنة مع الملائكة .

وتزوج جعفر اسماء بنت عميس ، وكانت معه في الحبشة ، وولدت له هناك عبدالله ومحمدا وعونا ، ولما قتل عنها تزوجها ابو بكر فولدت له محمدا ، ولما توفي ابو بكر تزوجها امير المؤمنين علي ، فولدت له يحي ، وتوفي في حياة ابيه ، ولا عقب له .

وام اسماء بنت عميس هي هند بنت عوف بن الحارث الجرشي من جرش اليمن ، وكان لهند هذه اربع بنات (١) اسماء تزوجها جعفر وابو بكر وعلي (٢) ميمونة تزوجها رسول الله ، وهي آخر امرأة تزوجها (٣) ام الفضل لبانة تزوجها العباس بن عبدالمطلب ، وهي ام ولده عبدالله وعبيدالله والفضل ومعبد وقثم (٤) سلمى تزوجها الحمزة بن عبدالمطلب • فاحماء هذه الجرشية رسول الله وامير المؤمنين والحمزة وجعفر والعباس وابو بكر ، وقيل : من احمائها الوليد بن المغيرة ، وان ام خالد بن الوليد ابنة هذه الجرشية ، ولذا اشتهر ان الجرشية اكرم الناس احماء •

اما عقيل ، ويكنى ابا يزيد فقد اخرجه المشركون يوم بدر لحرب الرسول مكرها ، فأسره مع عمه العباس رجل من الانصار يدعى ابا بشر ،ورآه اخوه علي مع الاسرى فتجاهله وحاد عنه ، فقال له عقيل : يا ابن ام والله لقد رأيت مكاني ، فتركه ولم يلتفت اليه ، وهو اخوه لامه وأبيه • وكان عقيل حاضر الذهن سريع الجواب ، رآه النبي (ص) مع الاسرى يوم بدر ، فقال له : يا ابا يزيد قتل ابو جهل • فقال له عقيل : اذن لا تنازعوني في تهامة • وأمر النبي عمه العباس ان يفدي نفسه وابن أخيه عقيلا ، فقال العباس : لا مال عندي • قال له النبي : لقد تركت مالا عند ام الفضل ، واوصيتها به • فقال : من اخبرك بهذا ؟ قال جبرائيل عن الله • فقال العباس : ما علم بهذا أحد ، اشهد ان لا اله الا الله ، وأنك رسول الله • فرجع الاسرى كلهم مشركون الا العباس وعقيل ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب •

وكان النبي يحب عقيلا ، وقد صارحه بهذا الحب ، اذ قال له يوما : يا أبا يزيد اني احبك حبين : حبا لقرابتك مني ، وحبا لحب عمي اياك ، وكان عقيل فقيرا كثير العيال والاطفال لا يجد ما يَسُدُّ حاجتهم الضرورية من المأكل والملبس ، ولما تولى الامام الخلافة قدم عليه يسترفده ، فعرض عليه الامام عطاءه ، فقال : انما اريد من بيت المال . فقال له الامام : تقيم الى يوم الجمعة ، فلما صلى الجمعة قال له : ما تقول بمن خان هؤلاء ؟ قال : بئس الرجل . قال : انك امرتني ان اخونهم واعطيك . فخرج من عنده الى الشام .

ورحب به معاوية ، وأعطاه مئة الف درهم من مال المسلمين ، وقال للناس وعقيل حاضر : هذا ابو يزيد لولا علمه باني خير من أخيه ما تركه ، واقام عندنا ، فقال عقيل : أخي خير لي في ديني ، وانظر لنفسه منك ، وانت خير لي في دنياي ، وانظر لي من نفسك ، وقد آثرت دنياي ، واسأل الله العفو .

وقال له يوما : غلبك أخوك على الثروة . قال : نعم ، وسبقني واياك الى الجنة .

وقال له : ان فيكم للينا يا بني هاشم . قال : أجل ، فينا ليناً من غير ضعف ، وعزا من غير عنف ، وان لينكم يا معاوية غدر ، وسلمكم كفر . فقال معاوية : ولا كل هذا يا ابا يزيد .

وفي ذات يوم اقبل عقيل على معاوية ، وعنده عمرو ابن العاص فالتفت معاوية الى ابن العاص ، وقال له : لاضحكنك من عقيل ، ولما سلم قال له معاوية : مرحبا بمن عمه ابو لهب – مع العلم بان ابا لهب

عم النبي كماهو عم عقيل وعلي ـ فقال عقيل : واهلا بمن عمته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ـ يشير الى ام جميل العوراء زوجة ابي لهب ، وهي اخت ابي سفيان وعمة معاوية ـ فقال معاوية ما ظنك بعمك ابي لهب • فقال : اذا دخلت النار ، فخذ على يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب •

وغدا يوما على معاوية ، وجلساؤه حوله ، فقال له معاوية : يا ابا يزيد خبرني عن عسكري وعسكر اخيك ، فقد وردت عليهما • فقال عقيل : مررت بعسكر اخي فاذا ليل كليل رسول الله ، ونهار كنهاره ، ليس في القوم الا مصلي لله او قاريء للقرآن ، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين الذين نفروا برسول الله ليلة العقبة •

ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية قال : هذا عمرو ابن العاص • قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر ، فغلب عليه جزار ، فمن الاخر قال : الضحاك بن قيس • فقال : والله لقد كان ابوه يجيد خصي التيوس ، فمن الاخر قال : ابو موسى الاشعري • قال : هذا ابن السراقة • فلما رأى معاوية انه قد اغضب جلساءه سأله معاوية عن نفسه ليقول فيه ما قال فيهم ، ويخفف عنهم ، فقال له : ما تقول فيّ ؟ قال : دعني منك • قال : لتقولن • قال : اتعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة ؟ قال : سل عنها • فسأل عنها معاوية ، فقيل له : هي جدته ام ابي سفيان كانت بغيا في الجاهلية ، وصاحبة راية تدل على مهنتها ، فقال معاوية لجلسائه قد ساويتكم وزدت ، فلا تغضبوا •

لقد اضطر عقيل للشخوص الى معاوية ، وأعطاه هذا كل ما

يريد وفوق ما يريد ، وحاول بجميع خدعه وحيله ان يجد لنفسه مدخلا في قلب عقيل ، او ينتزع منه كلمة باطل ترضيه وتغضب الله فلم يفلح ، بل على العكس ، فكان كلما اراد شيئا من هذا اجابه عقيل بما يفضحه ويخزيه ، كما رأينا .

ولما بلغ عقيلا خذلان أهل الكوفة لاخيه كتب اليه يعرض نفسه واولاده عليه ، وقال له فيما قال : والله لا احب ان ابقى في الدنيا بعدك ، ان عيشا نعيشه بعدك لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع ، فاعفاه الامام ، ولم يكلفه واولاده حضور الحرب ، وكأن الامام عليه السلام نظر بعين الغيب ، فادخر اولاد اخيه الى يوم ولده الحسين ، فقد قتل من ولد عقيل مع الحسين ١٣ شهيدا ٨ من اولاده و٥ من احفاده . توفي عقيل سنة ٥٠ من الهجرة عن ست وتسعين سنة .

وصلى الله على محمد وآله ، وعلى عقيل واولاده واحفاده .

فهرست

تطلب مؤلفات الاستاذ الشيخ محمد جواد مغنية التالية

من مكتبة النهضة ببغداد ـ شارع المتنبي

تلفون ٦٢٦٨٩

ثمن الكتاب	
٢٥٠	فضائل الامام علي
٢٠٠	المجالس الحسينية
١٠٠	الله والعقل
١٠٠	النبوة والعقل
١٠٠	الاخرة والعقل
١٠٠	علي والقرآن
٢٥٠	علي والفلسفة
٣٠٠	الفقه على المذاهب الخمسة
٢٠٠	الحج على المذاهب الخمسة
٥٠٠	الشيعة والتشيع
٢٠٠	بين الله والانسان
٢٠٠	هذه هي الوهابية
٧٠٠	الاحوال الشخصية على المذاهب الخمسة
٥٠٠	اصول الاثبات في الفقه الجعفري
١٠٠	المهدي المنتظر والعقل

من منشورات مكتبة النهضة ببغداد :

ثمن الكتاب	
٢٠٠	اصل الشيعة واصولها ـ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
١٥٠	ديوان الامام علي
٣٥٠	فرق الشيعة ـ للنوبختي
٣٠٠	ديوان ابي الاسود الدؤلي ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
٢٥٠	عقد البيع في الفقه الجعفري حسين علي الحاج حسن المحامي
٢٠٠	نفائس المخطوطات ويضم هذا الجزء :ـ ١ ـ الابانة عن مذهب اهل العدل للصاحب بن عباد ٢ ـ عنوان المعارف وذكر الخلائف للصاحب بن عباد ٣ ـ ايمان ابي طالب ـ للمفيد بن محمد بن النعمان ٤ ـ الاضداد في اللغة ـ لابن الدهان البغدادي النحوي تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

تحت الطبـــع :ـ

١ ـ ديوان الصاحب بن عباد ـ ينشر لاول مرة على مخطوطة نادرة بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين

٢ ـ الصاحب بن عباد ـ دراسة شاملة تاليف الشيخ محمد حسن آل ياسين

تطلب الكتب التالية في العراق من مكتبة النهضة

لصاحبها عبدالرحمن حسن حياوي

بغـداد ـ شارع المتنبي ـ تلفون ٦٢٦٨٩

	الثمن
مع الامام علي من خلال نهج البلاغة ـ خليل الهنداوي	٢٥٠
المبادىء العامة للفقه الجعفري ـ هاشم معروف الحسني	٦٠٠
الراعي والرعية (المثل الاعلى للحكم الدمقراطي في الاسلام ـ شرح عهد الامام علي عليه السلام الى (مالك الاشتر) حين ولاه مصر ـ للاستاذ توفيق الفكيكي المحامي	٦٠٠
الشاعر الثائر ـ محمد باقر الشبيبي ـ عبدالرزاق الهلالي	٥٠٠
الاسلام والشعر ـ يحيي الجبوري	٣٥٠
شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ـ يحيي الجبوري	١٠٠٠

•••• واي شيء افضل من الحديث عن العترة الطاهرة ومناقبهم ؟!

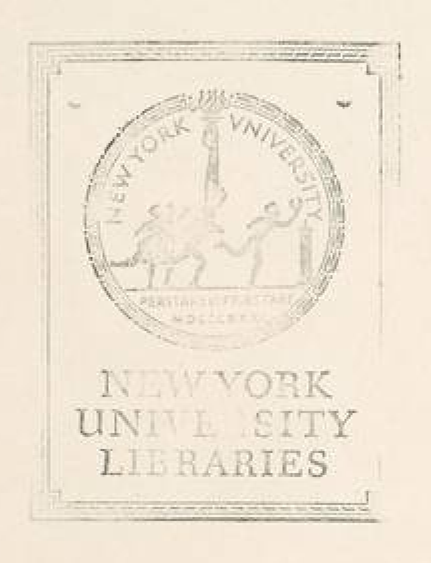
واي علم اجدى وانفع من علومهم ومواعظهم ؟! انها تذكر بالله ، وتبعث على طاعته ، والبعد عن معصيته ، انهـا كالغيث تحي النفوس بعد موتها ، وتجعلها مع الخالدين والانبياء والصالحين ، وبمقدار ما يبلغ الانسان مـن علوم اهل البيت يبلغ حده من العظمة والخلود •••

•••• وان في هذه الصفحات ذكرا لآل الرسول الاعظم (ص) وقـد شغلت أمدأ من عمري ، ولا أعرفها باكثر من ذلك •

(من مقدمة المؤلف)

الثمن : ٢٠٠

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٩٦٥/٤/١٠



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY


NYU - BOBST
31142 02809 5126
BP193 .M27 1965 al-Majalis al-Husayniyah